

الفصل الثالث

الطبيعة الإنسانية في التفسير بالمأثور

للقرآن الكريم

الصفحة

- أولاً : خلق الإنسان في التفسير بالمأثور للقرآن الكريم
- ٨٦
- ٨٧ ١ - مفهوم الخلاقة في التفسير بالمأثور .
- ٩١ ٢ - مراحل خلق الإنسان في التفسير بالمأثور.
- ٩٨ ٣ - الإنسان والنفس في التفسير بالمأثور .
- ثانياً : تكامل الطبيعة الإنسانية في التفسير بالمأثور للقرآن الكريم .
- ١٠٣
- ١٠٤ ١ - الجسد
- ١٠٨ ٢ - العقل
- ١١٢ ٣ - القلب
- ١٢٠ ٤ - الروح
- ثالثاً : تكريم الإنسان في التفسير بالمأثور للقرآن الكريم .
- ١٢٧
- ١٢٧ ١ - تمكين الإنسان من الإقامة على الأرض .
- ١٢٨ ٢ - تسخير المخلوقات البعيدة عن متناول يده .
- ١٣١ ٣ - تكريم الإنسان في ذاته .
- ١٣٥ ٤ - إيجاد الرزق وتذليل مصادره .

فتح القرآن الكريم والسنة النبوية بما حواه من مبادئ وأصول إسلامية مجالات للفكر الانساني المتنوع ، كما وضع القاعدة والمنطلق للاجتهادات الغنية ، فكانت الفكرة الإسلامية هي قدر الأمة ونسيج وجودها الذي لا يمكن إغفاله أو تجاهله ؛ لأنه يشكل جذور الأمة ومكونات شخصيتها ومسارها الحيوي عبر الزمان .

أمام توازن الفكرة الإسلامية أتى الفكر الإسلامي جامعاً بين الدين والدنيا ، شاملاً للحياة وما بعدها ، متكامل في مفاهيمه وتجلياته في نسيج واحد هو جسم الفكرة الإسلامية . ولم يكن للفكرة الإسلامية أن تنجح لولا ماصحابها من فكر تربوي ، يقوم على مبادئها ، وينبع من مصادرها ، وأدى تعامل الفكر مع هذه المعطيات والمبادئ إلى إيجاد فكر تربوي متكامل متوازن ، فلقد اعتمد الفكر التربوي الإسلامي على القرآن الكريم والسنة ؛ لأنهما يعنيان بتربية الموجودات كلها بما في ذلك تربية الانسان الذي هو مادة التربية الخام متعلماً ومعلماً ، وذلك بالتعامل مع الشخصية الانسانية ذات المميزات الواضحة تعاملاً يرتكز على أسس من الفهم الكامل للطبيعة الانسانية بكل جوانبها وفي كل حالتها .

ومن هذا المنطلق تتجه الدراسة في هذا الباب إلى مصادر الفكرة الإسلامية من خلال التفسير بالمأثور للقرآن الكريم لاستجلاء ماحواه من مبادئ أساسية عن الطبيعة الإنسانية .

أولاً : خلق الانسان في التفسير بالمأثور للقرآن الكريم : -

خلق الله سبحانه وتعالى الأرض والسماء ، ودحى الأرض فأخرجت ما كان مودعاً فيها من المياه فنبتت النباتات على اختلاف أنواعها وأشكالها ، قال تعالى : "أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاه ، اخرج منها ماءها ومرعاها" . (النازعات : ٢٧ : ٣١) .

ثم خلق الله الإنسان الذي أخبر عنه ملائكته ، قال تعالى : "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة" (البقرة : ٣٠) ، وفي التفسير بالمأثور لقوله "..... إني جاعل" عن الحسن البصرى وقتادة قالا : إني فاعل. (١) بينما قال آخرون إني خالق ، كما جاء في رواية أبي روق قال كل شيء في القرآن جعل فهو خلق" (٢) .

١ - مفهوم الخلافة في التفسير بالمأثور : -

يمكن توضيح مفهوم الخلافة في التفسير بالمأثور من خلال تفسير الآيات التي تضمنت هذا المفهوم ، ففي قوله تعالى : "إني جاعل في الأرض خليفة" تناول الطبري المفهوم لغوياً : "أى مستخلف في الأرض خليفه، والخليفة فعيلة من قولك خلف فلان فلاناً في الأمر إذا قام مقامه فيه بعده" ، ثم ذكر التفسير بالمأثور للآية عن الحسن البصرى : "إني جاعل في الأرض خليفة هم ولد آدم الذين يخلفون أباهم ويخلف كل قرن منهم القرن الذي سلف قبله" (٣) .

وفي التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون" (يونس : ١٤) عن قتادة : "ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : صدق ربنا ماجعلنا خلفاء إلا لينظر كيف أعمالنا ، فأروا الله من أعمالكم بالليل والنار والسر والعلانية" (٤) ومعنى الآية - كما ذكره الطبري - أنه أبدلكم في الأرض منهم، وجعلكم من بعدهم، وهم المشركون

(١) عن الحسن البصرى وقتادة (سنده) : "حدثني القاسم بن الحسين قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن جرير بن خازم ومبارك عن الحسن وأبي بكر يعنى الهذلي عن الحسن وقتادة" .

- تفسير الطبري : ج١ ، ص١٥٦ .

(٢) عن أبي روق (سنده) : "عن المنجاب بن الحارث قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق .

- نفس المرجع ، ص١٥٧ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) عن قتادة (سنده) : "حدثني بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاده" .

- تفسير الطبري : ج١١ ، ص٦٦ .

الذين ذكرتهم الآية السابقة عليها "ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين" (يونس : ١٣) ، وكما فى قوله تعالى : "فخلف من بعدهم خلف" (الأعراف : ١٦٩) .

ومما ورد فى التفسير بالمأثور من أسباب النزول عن أبى العالية قال : "مكث النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين خائفاً*" يدعو إلى الله سراً وعلانية قال ثم أمر بالهجرة إلى المدينة ، قال : فمكث بها هو وأصحابه خائفون ، يصبحون فى السلاح ، ويمسون فيه ، فقال رجل ما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تغفرون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم فى الملأ العظيم مجتنباً ليس فيه حديده ، فأنزل الله هذه الآية : "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً" (النور : ٥٥) (١) .

فالله قد وعد الذين آمنوا ليورثنهم أرض المشركين من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها كما فعل من قبلهم بنى اسرائيل إذ أهلك الجبابرة بالشام وجعلهم ملوكها وساستها ليوطئن لهم ملتهم التى ارتضاها لهم .

ومن الأحاديث النبوية التى تناولت معنى الخلافة ، عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : خير الناس قرنى الذين يلونى ، ثم الذين يلونهم ، قال : ولا أدرى أقال فى الثالثة أو فى الرابعة ، ثم يخلف بعدهم خلف تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته" (٢) .

(*) بالرجوع الى كتب السيرة تبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم : "كان خروجه من مكة أول يوم من ربيع الأول وقدم المدينة لاثنتى عشرة خلت منه ، وكان مدة مقامه بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة" .
- السيد أحمد الزينى دحلان : "السيرة النبوية والآثار المحمدية" ، المطبعة الوهبية ، مصر ، سنة ١٢٨٥ هـ ، ج١ ص ١٨٢ .

(١) عن أبى العالية (سنده) : "حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية" .
- تفسير الطبرى : ج١٨ ، ص ١٢٢ .

(٢) عن ابن مسعود (سنده) : "حدثنا أزهر بن سعد أخبرنا بن عون عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود .
- الامام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، ج٦ ، رقم ٣٩٦٣ ، ص ٢٩ .

وقد اختلف المفسرون الأوائل فى المراد بالخليفة هل هو آدم أم بنوه ؟ وقد مر فى تفسير الحسن البصرى لقوله "انى جاعل فى الأرض خليفة" أن قال هم ولد آدم الذين يخلفون أباهم ... الخ ، واتفق رأى ابن كثير مع ما حكاه الحسن البصرى ، اذ يقول ابن كثير فى تفسيره : "ليس المراد ههنا بالخليفة آدم - عليه السلام - فقط ، كما يقوله طائفة من المفسرين ، وفى ذلك خلاف ، والظاهر أنه لم يرد آدم عيناً إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص أو بما فهموه من الطبيعة الانسانية" (١) .

ويؤيد ابن كثير رأيه بأن المراد بالخليفة بنى آدم بقوله : "وسؤال الملائكة "أتجعل فيها من يفسد فيها..." إنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة من ذلك وقد قال تعالى : "إنى أعلم ما لا تعلمون" فى خلق هذا الصنف على المقاسد التى ذكرتموها فإنى سأجعل فيهم الانبياء ، وأرسل فيهم الرسل ، ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والأولياء والأبرار ، والمحبون له تبارك وتعالى والمتبعون رسله صلوات الله عليهم" (٢) .

أما رأى بأن المراد بالخليفة هو آدم فيتضح فى تأويل آخر للأية : -

عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الله جل ثناؤه قال للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة ، قال يكون له ذرية يفسدون فى الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً" (٣) فكان تأويل

(١) عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن كثير : - تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٦٩ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) عن ابن عباس (سنده) : حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى فى خبر ذكره عن

ابى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس .

- تفسير الطبرى : ج١ ، ص ١٥٦ : ١٥٨ .

الآية على هذه الرواية إنى جاعل فى الأرض خليفة يخلبنى فى الحكم بين خلقى وهو آدم ، وهذا التأويل يتفق مع ما حكى عن الحسن فى إضافة الإفساد فى الأرض وسفك الدماء إلى غير الخليفة ، إلا أنه يخالفه فى إضافة الخلافة إلى آدم بمعنى استخلاف الله إياه .

ومن العرض السابق لما ذكر فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم فى مسألة الخلافة يتضح أن :

أ - مفهوم الخلافة فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم هو تتابع أجيال بنى آدم ، وتبديلها فى الأرض ، واستخلاف بعضهم بعضاً ، بحيث تتاح فرصة العمل للجميع لينظر الله كيف كان عملهم وقد أرسل إليهم الرسل والانبياء لهدايتهم إلى الحق ، وفى موعد لا يعلمه إلا الله سبحانه سوف يحاسبهم جميعاً فيثيب من اهتدى واخلص ، ويعاقب من استمر الضلال وظل على غيه .

ب - لم يقبل فى التفسير بالمأثور قصر معنى الخلافة على سكنى الأرض وتعميرها وقد ورد عن ابن اسحق فى تفسير قوله "انى جاعل فى الأرض خليفة" قال : ساكناً وعامراً يعمرها" وقد رده الطبرى : "وليس الذى قال ابن اسحق فى معنى الخلافة بتأويلها ، وان كان الله جل ثناؤه إنما أخبر ملائكته إنى جاعل فى الأرض خليفة يسكنها ، ولكن معنى الخلافة ماوصفت قبلاً" (١) ويدل ذلك على أن أبا جعفر ذا الخبرة الواسعة بأقوال الصحابة والتابعين فى التفسير لم يرتض إلا أن تكون الخلافة بمعنى تتابع الأجيال وتبديلها فى الأرض .

ج - أن القول بأن الانسان خليفة الله على الأرض لم يرد له ذكر فى التفسير بالمأثور للقرآن ، وما جاء من قبل ذلك فى التفسير بالمأثور كان قاصراً على آدم وحده باعتباره خليفة الله يحكم بين ذريته المفسدين فى الأرض ، ولم يمتد هذا المعنى ليشمل بنى آدم جميعهم .

(١) المرجع السابق .

٢ - مراحل خلق الانسان فى التفسير بالمأثور : -

جعل الله خلق الانسان على مراحل ، منها مراحل نموه جنيناً فى رحم الأم ، ومنها مراحل نموه مكتملاً فى الحياة الدنيا، ويذكر القرآن الكريم ذلك فى أبلغ إيجاز ، إذ يقول جل ثناؤه "وقد خلقكم أطواراً" (نوح : ١٣) ، وفى التفسير بالمأثور للآية عن مجاهد : "خلقكم أطواراً من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم ما ذكر حتى يتم خلقه" ، وعن قتادة "طوراً نطفة وطوراً علقه وطوراً عظماً ثم كسا العظام لحماً ثم أنشأه خلقاً آخر أنبت به الشعر فتبارك الله أحسن الخالقين" (١).

وأول طور خلق آدم من تراب الأرض كما يخرج النبات منها ، قال تعالى : "والله أنبتكم من الأرض نباتاً" (نوح : ١٧) ، قال الطبرى فى تفسيره والله أنشأكم من تراب الأرض فخلقكم منه إنشاءً. (٢)

أما وفى تفسير قوله تعالى : "ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون" (الروم : ٢٠) عن قتادة : "خلق آدم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون يعنى ذريته" (٣) .

ثم اختلط التراب بالماء ، فأصبح الماء عنصراً فى تكوين الانسان وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى "وجعلنا من الماء كل شىء حى" (الانبياء : ٣٠) عن أبى هريرة قال: "قلت يا رسول الله إني إذا

(١) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن ابي نجيح عن مجاهد .

عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاده .

- تفسير الطبرى : ج٢٩ ، ص ٦٠ .

(٢) تفسير الطبرى : ج٢٩ ، ص ٦١ .

(٣) عن قتاده (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاده .

- تفسير الطبرى : ج٢١ ، ص ٢١ .

رأيتك طابت نفسى ، وقرت عيني، فأبنتنى عن كل شىء ، قال صلى الله عليه وسلم : "كل شىء خلق من ماء" (١) ، وعن قتادة قال : "كل شىء خلق من الماء" (٢) .

ولما اختلط التراب بالماء أصبح طينا ، فاستخلص من الطين خلاصته، قال تعالى : "ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين" (المؤمنون : ١٢) ، وفى التفسير بالمأثور للآية عن ابن عباس قال : "من صفوة الماء" ، وقال مجاهد : من سلالة أى من منى آدم" (٣) ، وقال قتادة : "استل آدم من طين وخلقت ذريته من ماء مهين" (٤) ، وعند ابن كثير أن قول قتاده هذا أظهر فى المعنى وأقرب إلى السياق ؛ فإن آدم عليه السلام خلق من طين لازب وهو الصلصال من الحمأ المسنون وذلك خلق من التراب" (٥) .

وعن تعريف الطين اللازب ورد فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "إنا خلقناهم من طين لازب" (الصفات : ١١) ، قال ابن عباس : هو اللزج الجيد ، وعن مجاهد وسعيد بن جبير هو الجيد

(١) عن أبى هريرة (سنده) : قال ابن ابى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الجماهر حدثنا سعيد عن قتادة عن أبى ميمونة عن أبى هريرة .

- تفسير ابن كثير : ج٣ ، ص ١٧٧ .

(٢) عن قتادة (سنده) : "عن ابن عبد الأعلى قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : ج١٧ ، ص ١٦ .

(٣) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن أبى يحيى عن ابن عباس .

(غريبه) : "السلالة هى المستلة من كل تربة أخذت من أديم الأرض .

- تفسير الطبرى : ج١٨ ، ص ٦ .

(٤) عن قتادة (سنده) : "عن الحسن قال اخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة .

- نفس المرجع .

(٥) تفسير ابن كثير : ج٣ ، ص ٢٤٠ .

الذى يلتزق بعضه ببعض ، وقال قتاده : هو الذى يلزق باليد ، وإنما وصفه جل ثناؤه باللزوب لأنه تراب مخلوط بما" (١) .

وهكذا تبين من خلال التفسير بالمأثور للأيات القرآنية التى ذكرت خلق آدم عليه السلام أنه قد خلق من الطين الذى تكون نتيجة امتزاج تراب الأرض بالماء .

وبعد أن خلق الله آدم بالأطوار السابقة ، خلق حواء زوجته من نفسه ، ففى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها" (الاعراف : ١٨٩) عن قتادة : "يعنى بالنفس الواحدة آدم عليه السلام" (٢) .

وقوله تعالى "ليسكن إليها" أى ليألفها ويسكن بها ، وهى كقوله جل ثناؤه "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة" (الروم : ٢١) وفى هذا عن ابن عباس وعن مره عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أنهم قالوا : خرج ابليس من الجنة ، وأسكن آدم الجنة فكان يمشى فيها وحشى ليس له فيها زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ، فسألها من أنت ؟ قالت : امرأة ، قال : ولم خلقت ؟ ، قالت : لتسكن إلىّ ، فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه : ما اسمها يا آدم ؟ قال : حواء ، قالوا : ولم حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شىء حى (٣) ، ومصداق ذلك قوله تعالى : "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء" (النساء : ١) .

(١) انظر : تفسير الطبرى : ج ٢٣ ، ص ٢٨ .

تفسير ابن كثير : ج ٤ ، ص ٣ .

(٢) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة .

- تفسير الطبرى : ج ٩ ، ص ٩٧ .

(٣) عن ابن عباس وعن مره عن ابن مسعود (سنده) : "عن السدى عن أبى صالح وأبى مالك عن ابن عباس وعن مره عن ابن مسعود" .

- أبو الفداء اسماعيل بن كثير : الهداية والنهاية ، دار الفداء العربى ، ط ٢ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ج ١ ، ص ٨٧ .

وعن طريق التزاوج بين آدم وحواء جاءت ذريته ، قال تعالى : "فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين" (الاعراف: ١٨٩)، والحمل الخفيف هو أول الحمل لا تجد المرأة له ألماً ، وقوله "فمرت به" عن مجاهد قال : استمر حملها (١) .

وبهذه الطريقة تناسل بنو آدم وكثروا ، قال تعالى : "وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين" (السجدة : ٧ ، ٨) وفي التفسير بالمأثور للأية الكريمة عن قتادة : "وبدأ خلق الانسان من طين وهو خلق آدم ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين والسلالة هي الماء المهين الضعيف" (٢) ، وعن مجاهد : "من ماء مهين" قال "ضعيف ، نطفة الرجل" (٣) .

وهنا تتجلى قدرة الله العزيز المبدع الذي خلق الانسان ، بكل ما حباه به من ملكات عقلية وقوى جسمانية من هذه النطفة من الماء الضعيف ، فكان لزاماً على كل إنسان ان يتأمل ويتفكر في هذا ، ليصل إلى أعماق مواطن العظمة والاعتبار ، ويلمس أعظم آيات الإعجاز الإلهي ، حتى يرجع عن غروره وضلاله ، فيعمل من أجل كسب رضا الله استعداداً ليوم الحساب ، وهذا مادعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن بشر بن جحاش قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوماً في كفه فوضع عليها اصبعه ، ثم قال : "قال الله تعالى : "يا بني آدم أنى تعجزنى

(١) عن مجاهد (سنده) : "حدثني محمد بن عمر قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد .

- تفسير الطبري : ٩٦ ، ص ٩٧ .

(٢) عن قتادة (سنده) : "حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاده .

- تفسير الطبري : ٢١٠ ، ص ٦٠ ، ٦١ .

(٣) عن مجاهد (سنده) : "عن الحرث قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد .

- نفس المرجع .

وقد خلقتك من مثل هذه ، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين برديك، وللأرض منك
وثيد (*) ، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت : أتصدق، وأنى أوان الصدق؟" (١) .

ثم يكمل القرآن الكريم ذكر مراحل خلق الانسان ، بتصوير الجنين وهو فى رحم الأم التى
لاتراه ولا تعلم عنه شيئاً ، قال تعالى : "ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة
فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله
أحسن الخالقين" (المؤمنون : ١٣ ، ١٤) .

ومن تفسير القرآن الكريم بالقرآن نفسه باعتباه أول مصادر التفسير بالمأثور فسرت "النطفة"
فهى كما قال تعالى : "ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب" (الطارق : ٦ ، ٧) وعن عكرمة :
"هو ماء مدفوق يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة" (٢) ، وقال عكرمة فى تفسير الآية السابقة
(المؤمنون : ١٣) والقرار المكين هو رحم المرأة الذى مكن لذلك وهىء له ليستقر فيه إلى بلوغ
أمره" (٣) .

"والعلقه حمراء مستطيلة قال عكرمه : وهى دم ، والمضغة من اللحم لاشكل فيها
ولا تخطيط، وقوله تعالى : "فخلقنا المضغة عظماً" يعنى شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين
بعظامها وعصبا وعروقها" (٤) .

(*) الوثيد : المشية المتمهلة البطيئة دليل الاختيال والغرور .

(١) عن بشر بن جحاش (سنده) : "ثنا أبو المغيرة ثنا جرير ثنى عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر ابن
جحاش" .

- الامام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ،

(٢) عن عكرمة (سنده) : "حدثنى ابن المثنى قال ثنى سلم بن قتيبة قال ثنى عبد الله النعمانى الحدانى عن عكرمة" .

- تفسير الطبرى : ج٣ ، ص ٩٢ .

(٣) عن عكرمة (سنده) : نفس السند السابق .

- تفسير الطبرى : ج١٨ ، ص ٧ .

(٤) تفسير ابن كثير : ج٣ ، ص ٢٤٠ .

ومن تفسير القرآن الكريم بقول النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره المصدر الثانى من مصادر التفسير بالمأثور ، فسرت "النطفة" أيضاً ، عن عبد الله بن مسعود قال : مر يهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه ، فقالت قريش يا يهودى ان هذا يزعم أنه نبي ، فقال : لأسأله عن شىء لا يعلمه إلا نبي . قال : فجاءه حتى جلس فقال : يا محمد مم يخلق الانسان ؟ ، فقال : يا يهودى من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة ، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب ، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم. فقال: هكذا كان يقول من قبلك" (١) .

وبعد اكتمال شكل الجنين ينفخ فيه الروح ، كما يوضح التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ثم انشأناه خلقاً آخر" عن ابن عباس قال : "نفخ الروح فيه" (٢) ، وعن عكرمه والشعبي ومجاهد وأبى العالية والضحاك مثل تفسير ابن عباس ، وكلها أوردها الطبرى فى تفسيره . كما ذكر ابن كثير نفس هذا التفسير للأية الكريمة قائلاً واختاره ابن جرير الطبرى (٣) .

ويذكر الرسول صلى الله عليه وسلم نفخ الروح بعد اكتمال شكل الجنين وهو مازال فى رحم الأم فى حديثه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : "حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق الصدوق أن أحدكم ليجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : رزقه ، وأجله، وعمله ، وهل هو شقى أو سعيد.." (٤) .

(١) عن عبد الله بن مسعود (سنده) : "حدثنى حسين بن الحسن ثنا أبو لدينه عن عطاء بن السائب عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله .

- تفسير ابن كثير : ج٣ ، ص٢٤١ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال اخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس .

- تفسير الطبرى : ج١٨ ، ص٨ .

(٣) تفسير ابن كثير : ج٣ ، ص٢٤١ .

(٤) عن عبد الله بن مسعود (سنده) : "حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن يزيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود .

- الامام أحمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، ج٥ ، رقم ٣٦٢٤ ، ص٢٢٣ .

ويستمر الحمل إلى أن يأذن الله بموعد ولادة الطفل ، قال تعالى : "ونقر في الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى" (الحج : ٥) ، فنوع الجنين إن كان ذكراً أو أنثى ومدة بقائه بالرحم وموعد ولادته كلها أمور من الغيبيات التي يتفرد الله بعلمها ولا يعلم عباده بها إلا وقت يشاء ، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله وكل بالرحم ملكاً فيقول أى رب نطفة ، أى رب علقة، أى رب مضغة ، فإذا أراد الله خلقها قال أى رب ذكر أو أنثى ؟ شقى أو سعيد ؟ فما الرزق؟ وما الأجل ؟ قال فذلك يكتب فى بطن أمه" (١) .

وبعد ولادة الطفل فى مواعدها المحدد يبدأ أطوار حياته مكتملاً فى الحياة الدنيا ، قال تعالى: "ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم" (الحج : ٥) فالطفل يخرج من رحم الأم اذا بلغ الأجل الذى قدره الله لذلك ، ويكون صغيراً ضعيفاً فى بدنه وسمعه وبصره وحواسه وعقله ، ثم يعطيه الله القوة شيئاً فشيئاً ويلطف به حتى يبلغ كمال عقله .

"واختلف أهل التأويل فى الحين الذى إذا بلغه الانسان قيل بلغ أشده عن زيد بن أسلم عن ابيه قال : "إذا بلغ الحلم" (٢) ، وعن مجاهد عن عامر قال : "الأشد الحلم حيث تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات" (٣) أى تتكامل قواه وتتزايد ، فيصل الى عنفوان الشباب وحسن المنظر .

"ثم إنكم بعد ذلك لميتون" (المؤمنون : ١٥) ، وهنا تنتهى حياة الانسان فى الدنيا ، حين يحين أجله المسمى ، فمن الناس "ومنكم من يتوفى" أى يموت فى حال شبابه وقوته ، "ومنكم من يرد إلى

(١) عن أنس (سنده) : "قال الحافظ أبو بكر البزار ثنا أحمد بن عبده ثنا حماد بن يزيد ثنا عبد الله بن أبي بكر عن أنس.

- تفسير ابن كثير ، ٣ ، ص ٢٤١ .

(٢) عن زيد بن أسلم (سنده) : "حدثنى أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا عمى قال ثنا عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه .

- تفسير الطبري : ٨ ، ص ٦٣ .

(٣) عن مجاهد عن عامر (سنده) : "حدثنى الحمانى قال ثنا هشيم عن مجاهد عن عامر .

- نفس المرجع .

أرذل العمر" فيبقى حياً ليعيش الشيخوخة والهرم، والضعف فى القوة والعقل والفهم، وتناقص الاحوال من الخرف وضعف الفكر، ولهذا قال تعالى: "لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً" (الحج : ٥) ، ثم يموت بعد ذلك فى موعد أجله، وتعد الآية السابقة تفسيراً لقوله جل ثناؤه: "الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوه ضعفاً وشيبة يخلق مايشاء وهو العليم القدير" (الروم : ٥٤) .

وهكذا تتبع التفسير بالمأثور أطوار خلق الانسان ومراحل حياته ، من خلال آيات القرآن الكريم التى وصفت تفصيلاً أطوار نمو الجنين داخل رحم الأم ، حتى اكتماله وبلوغ الموعد المحدد لولادته ، فيخرج إلى الدنيا طفلاً غاية فى الضعف ، ويعطيه الله من القوى حتى يزول ضعفه وتكتمل قوته فى مرحلة شبابه ، فينتقل مرة ثانية الى حالة الضعف والوهن ، وذلك فى مرحلة الشيخوخة والهرم إلى أن يحين أجله المقدر ، وهو فى كل هذا محل اختبار وبلاء ، حيث ترصد أفعاله وتسجل أقواله وتدون حسناته وسيئاته حتى يحين موعد الحساب والجزاء .

ويلخص القرآن الكريم لحياة الانسان بكل أطوارها ومراحلها ، فى منتهى الایجاز والبلاغة، فى آية كريمة تضيف روعة اللفظ والأسلوب ، إلى دقة المعنى والمضمون ؛ ليؤدىا فى النهاية الى المعنى الواسع لعظمة الخالق وقدرته المبدعة ، وذلك فى قوله تعالى : "هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون" (غافر : ٦٧) .

٣ - الانسان والنفس فى التفسير بالمأثور : -

كرم الله الانسان فى صورته وخلقه ، ووهبه كل الأدوات والحواس التى تعينه على الحياة فى الأرض ، والتى تعطيه القدرة على أن يسيطر على كل ماسخره الله لِنفعه فى هذا الكون الفسيح ، ثم أنعم عليه بالقدرة على التمييز بين الخير والشر ، وغرس فى نفسه الاستعداد لكل منهما ، وأعطاه الحرية والارادة على أن يختار بينهما ، موضحاً له مسئوليته عن هذا الاختيار أمام الله.

والانسان ورد ذكره في آيات القرآن الكريم بلفظة "إنسان" في واحد وسبعين موضعاً ، منها قوله تعالى : "فلينظر الانسان مما خلق" (الطارق : ٥) ، "خلق الانسان ، علمه البيان" (الرحمن ٣ ، ٤) ، كما ذكرت لفظة انسان وقصد بها آدم عليه السلام في ثلاثة مواضع منها قوله تعالى : "ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون" (الحجر ٢٦) .

كذلك ذكر الإنسان في آيات القرآن الكريم بلفظة "نفس" وقصد بها الانسان ككل ، كما في قوله تعالى : "واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون" (البقرة : ٤٨) "وفسرت هذه الآية بالقرآن في قوله تعالى : "يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً" (لقمان : ٣٣) ^(١) "ويدل تفسير الآية الكريمة على ان "نفس" الأولى قصد بها انسان و "نفس" الثانية قصد بها انسان آخر ، ثم الضمير في "ولا هم ينصرون" يعود إلى جمع القوم .

كما يظهر ذلك في التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "واذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم" (البقرة : ٥٤) : "عن أبي عبد الرحمن قال : عمدوا إلى الخناجر فجعل يطعن بعضهم بعضاً" ^(٢) ، فالأنفس هنا بمعنى الأشخاص من البشر .

وكما فسرت "النفس" في آيات القرآن الكريم بمعنى الانسان عامة ، فقد وردت بمعنى أكثر خصوصية يدل على ذات معينة ومن ذلك :

(١) تفسير ابن كثير : ج١ ، ص ٨٩ .

(٢) عن أبي عبد الرحمن (سنده) : "حدثني محمد بن المثني قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن أبي اسحق

عن أبي عبد الرحمن .

- تفسير الطهري : ج١ ، ص ٢٢٧ .

- فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد" (آل عمران: ٣٠)، قال ابن كثير : "فسرت "نفس" الأولى بالقرآن الكريم فى قوله تعالى : "ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر" (القيامة : ١٣) (١) ، أى أن نفس الأولى بمعنى الانسان عامة ، أما فى تفسير الثانية "نفسه" قال الطبرى : "يحذركم الله من نفسه أن تسخطوها عليكم بركوبكم ما يسخطه عليكم" (٢) .. أى يحذركم الله ذاته المقدسة .
- وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى ، واصطنعتك لنفسى" (طه : ٤٠ - ٤١) ، عن قتادة : واصطنعتك لنفسى أى أنعمت عليك يا موسى هذه النعم ومننت عليك هذه المنن اجتباء منى لك واختياراً لرسالتى والبلاغ عنى" (٣) فدلّت "نفسى" هنا على ذات الله العالوية .
- وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة" (النساء : ١) ، عن قتادة خلقكم من نفس واحدة يعنى آدم عليه السلام ، وعن مجاهد والسدى مثله" (٤) .
- فدلّت "نفسى" هنا على ذات معينه هى آدم عليه السلام .

(١) تفسير ابن كثير : ج١ ، ص ٣٥٧ .

(٢) تفسير الطبرى : ج٣ ، ص ١٥٥ .

(٣) عن قتاده (سنده) : "حدثنى الحسن بن يحيى قال اخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : ج١٦ ، ص ١٢٨ .

(٤) عن قتاده (سنده) : "حدثنى بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : ج٤ ، ص ١٥٠ .

- وفى تفسير قوله تعالى : "يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها" (النحل : ١١١) قال ابن كثير :
يوم تأتى كل نفس تحاج عن ذاتها ، ليس أحد يحاج عنها لأب ولاابن ولاأخ ولازوجه" (١) .
وذكرت "نفس" الأولى بمعنى العمومية للناس جميعاً ، بينما فى "نفسها" معنى الخصوصية
لذات الانسان نفسه .

- وفى تفسير قوله تعالى : "وإذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من
دياركم" (البقرة : ٨٤) قال قتادة : لاتسفكون دماءكم أى لا يقتل بعضكم بعضاً ، ولاتخرجون
أنفسكم من دياركم ، ونفسك ياابن آدم أهل ملتك" (٢) .
وفى تفسير قتادة للأيه تظهر شمولية معنى النفس لبنى آدم .

وذكرت "النفس" فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم بمعنى الروح كما يتضح فى تفسير قوله
تعالى : "إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء" (الأعراف : ٤٠) عن أبى
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا
اخرجى أيتها النفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب ، اخرجى حميدة وابشرى بروح وريحان
ورب غير غضبان ، قال فيقولون ذلك حتى يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ،
فيقولون فلان فيقال مرحباً بالنفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب ، ادخلى حميدة وابشرى
بروح وريحان ورب غير غضبان فيقال لها ذلك حتى تنتهى إلى السماء التى فيها الله.. (٣) .

(١) تفسير ابن كثير : ج ٢ ، ص ٥٨٨ .

(٢) تفسير الطبرى : ج ١ ، ص ٣١٢ .

(٣) عن أبى هريرة (سنده) : "حدثنى أبو كريب قال حدثنا عثمان بن عبد الرحمن عن ابن أبى ذئب عن محمد بن عمرو بن

عطاء بن يسار عن أبى هريرة .

- تفسير الطبرى : ج ٨ ، ص ١٢٩ : ١٣٠ .

وذكر نقيضه للنفس الخبيثة : عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : .. وإذا كان الرجل سوء قالوا اخرجى أيتها النفس الخبيثة التي كانت فى الجسد الخبيث ، اخرجى ذميمة ، وابشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فيقولون لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء ، فيستفتح لها فيقول من هذا فيقولون فلان ، فيقولون لامرحباً بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة ، فإنه لا تفتح لك أبواب السماء ، فترسل بين السماء والأرض فتصير إلى القبر" (١) .

وذكرت النفس بمعنى الروح أيضاً فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون" (الانعام : ٩٣) قال ابن كثير فى تفسيره : "ذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال وغضب الرحمن فتتفرق روحه فى جسده ، وتعصى وتأبى الخروج ، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم : أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون.." (٢) ، وقال أبو جعفر الطبرى فى تفسيرها : "وإنما ذلك أمر من الله على ألسن رسله الذين يقبضون أرواح هؤلاء القوم من أجسامهم بأداء ما أسكنها ربها من الأرواح إليه وتسليمها إلى رسله الذين يتوفونها" (٣) .

وعن عبد الله بن مسعود أنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة نحواً من أربعين ، قال : أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ قال : قلنا : نعم ، قال : أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قلنا : نعم ، فقال : والذى نفس محمد بيده ، إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ، وذاك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة ، وما أنتم من أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء فى

(١) عن أبي هريرة (سنده) : نفس السند السابق .

- نفس المرجع .

(٢) تفسير ابن كثير : ج ٢ ، ص ١٥٧ .

(٣) تفسير الطبرى : ج ٧ ، ص ١٨٣ .

جلد الثور الأسود..^(١) ففى قوله صلى الله عليه وسلم "نفس محمد بيده" ، قصد بلفظة "نفس" الروح ، وفى قوله "أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة" قصد بلفظه "نفس" الانسان ككل ، وقد يكون المقصود بها الروح أيضاً . والله أعلم .

وهكذا يتضح من استقراء التفسير بالمأثور للآيات القرآنية التى ورد فيها لفظ "النفس" أنها

جاءت على عدة معان هى : -

أولاً : بمعنى الذات الإلهية .

ثانياً : بمعنى آدم باعتباره أبو الانسانية .

ثالثاً : بمعنى بنى آدم أو الانسان بصفة عامة .

رابعاً : بمعنى مكون من مكونات الذات الانسانية ألا وهو الروح .

ومن ثم يمكن النظر إلى النفس على أنها الانسان أو إحدى مكوناته ولذا يلزم دراسة مكونات الذات الانسانية أو النفس البشرية .

ثانياً : تكامل الطبيعة الإنسانية فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم :

يقدم القرآن الكريم صورة متكاملة للطبيعة الإنسانية، فلا يفضل جزءاً منها على الآخر ، بل يبين أنها جميعاً بتعدد وظائفها يعين بعضها البعض على أداء وظيفة الإنسان على الأرض وهو تعميمها وعباده الله وحده .

(١) عن عبد الله بن مسعود (سنده) : "حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة ، ويحيى عن شعبة عن أبي اسحق عن عمرو

بن ميمون عن عبد الله بن مسعود .

- الامام احمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، ج٦ ، رقم ٤١٦٦ ، ص ٩٩ .

والقرآن لا يفصل بين أجزاء الطبيعة الإنسانية إلا حين يتحدث عن وظيفة هذا الجزء أو ذاك ،
وفيما يلي تعريف بمكونات الطبيعة الإنسانية من خلال التفسير بالمأثور للقرآن الكريم لاعلى سبيل
الفصل بينها وإنما لتأكيد تكاملها وإعانة بعضها البعض فى أداء وظيفة الإنسان فى الحياة ، وفى
تحقيق الهدف من وجوده بها .

أ - الجسد :

الجسد من مكونات الطبيعة الإنسانية وجزء من الذات البشرية ذكر ذلك فى التفسير بالمأثور
لقوله تعالى : " وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ،
وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين " (الأنبياء : ٧ ، ٨) .. فقد قال أبو جعفر : يقول
تعالى ذكره لنبيه وما أرسلنا قبلك يا محمد رسولا إلى أمة من التى خلت قبل أمتك إلا رجالا مثلهم
ويقول للجاهلين أمر الرسل الذين كانوا من قبل محمد فلم يعلموا أمرهم إنسا كانوا أم ملائكة
اسألوا أهل الكتاب عن ذلك . ثم يقرر أن الرسل السابقين كانوا بشرا لاملائكة وكانوا أجسادا
تأكل الطعام كسائر البشر" ، وفى التفسير بالمأثور للأية الكريمة عن الضحاک : " يقول جعلناهم
جسدا فيها أرواح يأكلون الطعام " (١) (*)

والجسد محل الروح ، يكون صالحا إذا كان فيه روح صالح ، ويكون خبيثا إذا كان فيه الروح
الخبث ، وذلك كما جاء فى تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : " ان الذين كذبوا
بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء " (الأعراف : ٤٠) .. عن أبي هريرة أن رسول الله

(١) عن الضحاک (سنده) : " حدثنى الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول اخبرنا عبيد عن الضحاک .

- تفسير الطبرى : ج١٧ ، ص ٥ .

(*) عرف الجسد فى معجم ألفاظ القرآن الكريم الصادر عن مجمع اللغة العربية ، ص ٢٢٧ بأنه جسم جامد لا يأكل
ولا يشرب ، ولا يتفق هذا مع ماورد بالتفسير بالمأثور من أن الجسد يأكل ويشرب وفيه الروح بينما البدن هو الجسد
الذى لاهياة فيه .

صلى الله عليه وسلم قال: "الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجى أيتها النفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب وإذا كان الرجل السوء قالوا اخرجى أيتها النفس الخبيثة التى كانت فى الجسد الخبيث"^(١) .

ويهلك الجسد إذا فارقتة الروح، وما يذكر من ذلك فى التفسير بالمأثور ما قيل فى تفسير قوله تعالى: "فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية" (يونس : ٩٢) ، لما أمر الله البحر فأطبق على فرعون وجنوده لم يصدق بنو اسرائيل بغرق فرعون فدعا موسى ربه فأخرجه فنبذه البحر حتى استيقنوا بهلاكه ، عن مجاهد : "فاليوم ننجيك ببدنك قال بجسدك" وعن ابن عباس وآخرين مثله ، ويقول ابن جرير فإن قال قائل وماوجه قوله ببدنك .. وهل يجوز أن ينجيه بغير بدنه ، قيل كان جائزاً أن ينجيه بهيئته حيا كما دخل البحر .. لذا قيل ينجيك ببدنك ليعلم أنه ينجيه بالبدن بغير روح ولكن ميتاً"^(٢) فالبدن هو الجسد الذى لاروح فيه ولا حياة .

وذكر الجسد بلفظة الجسم فى موضعين فقط بالقرآن الكريم : الأول يتضح فيه أهمية الجسم للإنسان فى الحياة وفى السيادة والقوة . وذلك فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم" (البقره : ٢٤٧) .. عن السدى قال : لما كذبت بنو اسرائيل بشمعون وقالوا له ان كنت صادقاً فابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله آية من نبوتك .. ، دعا شمعون الله فأتى بعصا تكون مقدارا على طول الرجل الذى يبعث فيهم ملكا ، فقال لهم ان صاحبكم يكون طوله طول هذه العصا ، فقاسوا أنفسهم بها فلم يكونوا مثلها ، وكان طالوت رجلا سقاء يسقى على حمار له ، فضل حماره فانطلق يطلبه فى الطريق ، فلما رأوه دعوه فقاسوه بها فكان مثلها ، فقال لهم نبيهم إن الله قد بعث طالوت لكم ملكا قال القوم ماكنت أكذب منك

(١) عن ابى هريرة رضى الله عنه (سنده) : "حدثنى أبو كريب قال حدثنا عثمان بن عبد الرحمن عن ابن أبى ذئب عن

محمد بن عمرو بن عطاء بن يسار عن ابى هريرة" .

- تفسير الطبرى : ح ٨ ص ١٢٩ : ١٣٠ .

(٢) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى ابن وكيع قال حدثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريح عن عبد الله بن كثير عن مجاهد

تفسير الطبرى : ج ١١ ، ص ١١٤ .

الساعة ونحن من سبط المملكة وليس هو من سبط المملكة ولم يؤت سعة من المال فنتبعه لذلك ، فقال النبي ان الله اصطفاه وزاده بسطة في العلم والجسم^(١) ، ولم يصدق طالوت أنه قد تميز على قومه بما أنعم الله عليه من العلم والزيادة في طول جسمه رغم فقره وتدنى نسبه ، عن وهب بن منبه قال : ... ، فقال أن الله قد بعثك ملكاً على بنى اسرائيل قال : أنا ، قال : نعم قال أو ما علمت أن سبطى أدنى أسباط بنى إسرائيل قال: بلى قال : أفما علمت أن قبيلتى أدنى قبائل سبطى قال: بلى ، قال أما علمت أن بيتى أدنى بيوت قبيلتى قال : بلى ، وقال لبنى اسرائيل أن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال: إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم.^(٢)

والموضع الثانى : فى قوله تعالى : "وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة..." (المنافقون : ٤) فسر ابن جرير هذه الآية - دون ذكر أقوال مأثورة - قائلاً: وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يامحمد تعجبك أجسامهم لاستواء خلقها وحسن صورها وإن يتكلموا تسمع كلامهم يشبه منطق الناس بينما كأنهم أخشاب مسندة لاخير عندهم ولافقه لهم ولاعلم وإنما هم صور بلا أحلام وأشباح بلا عقول^(٣) .

ويعتبر هذا تأكيداً للفكرة التى ذكرها عبد الفتاح جلال فى كتابه "الأصول التربوية فى الإسلام" ، اذ تتضح النظرة التكاملية لمكونات الطبيعة الانسانية فى هاتين الأيتين فى الأولى لم تكن البسطة فى الجسم وحدها سبب سيادة طالوت بل اقترن بها البسطة فى العلم الذى اكتسبه

(١) عن السدى (سنده) : "حدثنى موسى بن هارون قال حدثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى .

- تفسير الطبرى : ج٢ ، ص ٣٧٩ .

(٢) عن وهب بن منبه (سنده) : "حدثنى الثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسماعيل عن عبد الكريم عن عبد الصمد بن معقل

عن وهب بن منبه" .

- تفسير الطبرى : ج٢ ، ص ٣٧٨ .

(٣) تفسير الطبرى : ج٢٨ ، ص ٦٩ .

بعقله الذى أنعم الله به عليه ، وفى الآية الثانية لم يكن كمال الأجسام وحده سببا لثقة الرسول واطمئنانه إلى هؤلاء المنافقين إذ خلت عقولهم من العلم وقلوبهم من الإيمان (*) . ومن الملاحظ ان ذكر الجسم فى الموضوعين السابقين كان متعلقاً بمعنى القوة البدنية فى الانسان .

أوصى الله بالحرص على سلامة أعضاء جسم الإنسان فى آيات القرآن الكريم مما يدل على عدم احتقارها أو الاستهانة بها ، فمن قتل إنساناً أو أساء إلى عضو من أعضاء جسمه أو جرحه وجب عليه القصاص فى مثل ما لحق الضرر .. وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأذن والأذن بالأسن والسن بالسن والجروح قصاص" (المائدة : ٤٥) ... عن قتادة قوله وكتبنا عليهم فيها قال أى فى التوراة أن النفس بالنفس .. حتى بلغ والجروح قصاص بعضها ببعض. (١) .. أى أن هذا قد نزل فى اليهود ولكنها علينا واجبة ، فعن الحسن فى تفسير قوله تعالى : "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" (المائدة : ٤٤) قال نزلت فى اليهود وهى علينا واجبة. (٢) ..

وبلغ من تكريم أعضاء جسم الإنسان أنها ستصير شهوداً تشهد عليه يوم الحساب ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "حتى إذا ماجأوا شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون" (فصلت : ٢٠) .. عن قتادة قال حتى إذا ماجأوا النار شهد عليهم سمعهم بما كانوا يصغون به فى الدنيا إليه ويستمعون له ، وأبصارهم بما كانوا يبصرون بها وينظرون اليه فى الدنيا ، وجلودهم بما كانوا يعملون" (٣) .

(١) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاده" .

- تفسير الطهرى : ج ٦ ، ص ١٦٨ .

(٢) عن الحسن (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال اخبرنا هشيم عن عوف عن الحسن" .

- تفسير الطهرى : ج ٦ ، ص ١٦٦ .

(٣) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاده" .

- تفسير الطهرى : ج ٢٤ ، ص ٦٨ .

(*) (نظر: عبد القناع جلال: مع الزمهرى الزنوية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

فالأذان والعيون والجلود سوف تشهد يوم الحساب على ماكان الإنسان يعمل في الحياة الدنيا، وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى : "يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون" (النور : ٢٤) .. "إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقال له هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا ، فيقال أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقول أحلفون فيحلفون ثم يصمتهم الله وتشهد ألسنتهم ثم يدخلهم النار^(١) "اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون" (يس : ٦٥) .

ويتضح مما سبق أن الجسد من مكونات الذات الإنسانية ذكره الله في آيات القرآن الكريم بلفظي الجسد والجسم حياً ، وذكره بلفظة البدن في حالة الموت ، كما ورد في ذكر بعض أعضائه في مواضع كثيرة بالقرآن كالعين والأذن والأنف واليد والرجل ، وفي مواضع أخرى ذكرت وظائف هذه الأعضاء كالبصر والسمع واللمس والمشى .

واهتم الإسلام بالجسد فلم يهمله ، ومايذهب إليه البعض من احتقار الجسم غير وارد في الإسلام ، بل كان الحرص على سلامة أعضائه واضحاً في التحذير من إلحاق الضرر أو الإساءة إليها ، وبلغ تكريم جسم الإنسان درجته العظمى حين جعل الله أعضائه تنطق يوم القيامة بما عمله واكتسبه في الحياة الدنيا ، ولو كذب الإنسان جيرانه وأهله في شهادتهم يوم الحساب فستكون أعضاؤه أصدق الشاهدين عليه .

٢ - العقل :

من صور تكريم الله للإنسان أن اختصه بنعمة العقل فتميز بها عن سائر المخلوقات ، ووظيفة العقل هداية الإنسان إلى الإيمان بالله تعالى عن طريق التأمل والتفكير في آيات الله ودلائل قدرته التي تملأ الكون حول الانسان ، وأقرب مثال منها إليه هو ذاته نفسها .

(١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (سنده) "حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال اخبرنا عمرو عن دراج عن ابي

الهيثم عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" .

- تفسير الطبري : ج ١٨ ، ص ٨٤ .

ومن التفسير بالقرآن لقوله تعالى : " وفي أنفسكم أفلا تبصرون " (الذاريات : ٢١) أن قرأ ابن زيد قول الله تبارك وتعالى : " ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون " (الروم : ٢٠) ثم قال وفينا آيات كثيرة هذا السمع والبصر واللسان والقلب لا يدري أحد ما هو أسود أو أحمر ، وهذا الكلام الذي يتلجلج به ، وهذا القلب أى شىء هو إنما هو مضغه فى جوفه يجعل الله فيه العقل ، أفيدرى أحد ماذا العقل وماصفته وكيف هو ؟ (١)

العقل لم يذكر فى القرآن كجزء مادي من مكونات الطبيعة الإنسانية ، " ولم يذكر باسمه "العقل" وإنما جاء ذكره بصورة أفعاله فوردت الكلمات "عقلوه ، تعقلون ، نعقل ، يعقلها ، يعقلون فى تسعة وأربعين موضعاً" (٢) . فكانت النظرة إلى العقل كمفاعل يفجر الطاقات الكامنة فى الإنسان من فكر وعلم وادراك وتعقل حتى تنطلق نحو آدائها الوظيفى تحقيقا للهدف الذى خلق الإنسان من أجله وهو الإيمان بالله وعبادته .

وعن طريق العقل يكون التعقل والاعتناع فيصل الإيمان إلى القلوب ، عن أبى الضحى قال لما نزلت " وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم " (البقرة ١٦٣) قال المشركون ان كان هذا هكذا فليأتنا بأية فأنزل الله تعالى ذكره : " إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون " (البقرة : ١٦٤) (٣) . وفى نفس هذه الآية يذكر فى التفسير بالمأثور عن سعيد قال : سألت قريش اليهود فقالوا حدثونا عما جاءكم به موسى من الآيات فحدثوهم بالعصا ويده البيضاء للناظرين ،

(١) قال ابن زيد (سنده) "حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد" .

- تفسير الطبرى : ج٢٦ ، ص ١٢٦ .

(٢) عبد الفتاح جلال : من الأصول التربوية فى الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

(٣) عن أبى الضحى (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا اسحق بن الحجاج قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبىه قال حدثنى سعيد

بن مسروق عن أبى الضحى" .

- تفسير الطبرى ج ٢ ، ص ٣٧ .

وسألوا النصارى عما جاءهم به عيسى من الآيات فأخبروهم أنه كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله فقالت قريش عند ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ادع الله يجعل لنا الصفا ذهباً فنزداد يقيناً ونقوى به على عدونا، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه فأوحى إليه إنى معطيهم فأجعل لهم الصفا ذهباً، ولكن إن كذبوا عذبتهم عذاباً لم أعذبه أحداً من العالمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ذرنى وقومى فأدعوهم يوماً بيوم . فأنزل الله عليه : "إن فى خلق السموات والأرض.. الآية" .. وقوله "لآيات لقوم يعقلون" يقول أنها علامات ودلالات لمن عقل مواضع الحجج، وفهم عن الله أدلته على وحدانيته، فأعلم تعالى ذكره عباده بأن الأدلة والحجج إنما وضعت معتبر لذوى العقول والتمييز دون غيرهم من الخلق إذ كانوا هم المخصوصين بالأمر والنهى والمكلفين بالطاعة والعبادة ولهم الثواب وعليهم العقاب. (١)

ومن أمثلة سوق البراهين العقلية للاقتناع بالإيمان ما ذكر فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته لعلكم تعقلون" (البقره : ٧٣) . عن عبيدة قال : "كان فى بنى اسرائيل رجل عقيم وله مال كثير فقتله ابن أخ له وجره فألقاه على باب ناس آخرين ثم أصبحوا فادعاه عليهم حتى تسلح هؤلاء وهؤلاء فأرادوا أن يقتتلوا فقال ذوو النهى منهم أتقتلون وفيكم نبي الله فأمسكوا حتى أتوا موسى فقصوا عليه القصة فأمرهم أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها فقالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين (٢) وعن قتادة قال ذكر أنهم ضربوه بفخذها

(١) عن سعيد (سنده) : "حدثنى ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد" .

- تفسير الطبرى : ج ٢ ، ص ٣٨ .

(٢) عن عبيدة (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا أبو جعفر عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن

عبيدة" .

- تفسير الطبرى : ج ٣ ، ص ٢٨٤ .

فأحياء الله فأنبأ بقاتله الذى قتله وتكلم ثم مات ، كذلك يريكم الله من آياته لتعقلوا وتفهموا فتؤمنوا بالله وتتبعوا رسوله صلى الله عليه وسلم^(١).

ميز الله الإنسان بالعقل على سائر المخلوقات ، فاذا الإنسان لم يعمل عقله في التفكير والتعقل والعلم ليصل إلى الإيمان بالله فقدَ فقدَ هذه الميزة وتساوى بالبهائم التى لاتعرف إلا الأكل والشرب .

ذكر ابن كثير فى تفسيره : "قال ابن عباس كان الرجل فى الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زمنا فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثانى وترك الأول"^(٢) وذلك فى تفسير قوله تعالى : "أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا" (الفرقان : ٤٣ ، ٤٤) ، وفيها قال أبو جعفر الطبرى ماهؤلاء القوم إلا كالبهائم التى لاتعقل مايقال لها ولاتفقه ، بل هم من البهائم أضل سبيلا؛ لأن البهائم تهتدى لمراعبيها وتنقاد لأربابها"^(٣) .

لذلك وصف العاقل فى التفسير بالمأثور بأنه حى ، عن الضحاك فى قوله تعالى : "لينذر من كان حيا" (يس : ٧٠) قال من كان عاقلا^(٤) ..

وهكذا يتضح أن الله سبحانه وتعالى قد ميز الانسان بنعمة العقل ، ودعا الى الاستفادة من قدرته على القيام بوظائفه العقلية المختلفة والمتاحة ، واستخدام هذه الوظائف كوسيلة للوصول الى الحقيقة التى تقود إلى الإيمان بالله وبرسوله وكتبه .

(١) عن قتادة (سنده) : "حدث بشر قال حدثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة .

- نفس المرجع .

(٢) تفسير ابن كثير : ج٣ ، ص ٣٢٠ .

(٣) تفسير الطبرى - ج١٩ ، ص ١٢ .

(٤) عن الضحاك (سنده) : "حدث أبو كريب قال ثنا معاوية عن رجل عن ابن ابي روق عن الضحاك" .

- تفسير الطبرى : ج٢٣ ، ص ١٩ .

والتأمل لخواتيم الآيات التالية من سورة الروم يجد أنها قد أشارت إلى بعض من الوظائف العقلية والى ما توصل إليه بإعمالها قال تعالى "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" (الروم : ٢١) "ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين" (الروم : ٢٢) ، "ومن آياته مناكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون" (الروم : ٢٣) "ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون" (الروم : ٢٤) ..

فقد ذكر الله بعضاً من دلائل وأيات قدرته؛ حتى يتأملها الإنسان ويتفكر ويعتبر فيعلم قدرة الله العظيم ، فإذا علمها سمع الدعوة وأطاعها، وأدرك أن الخير له في اتباعها، فكان هذا منه تعقلاً، فالتفكر والعلم والإدراك والتعقل كلها طاقات للعقل لها أداؤها الوظيفي الذي يصل بالإنسان إلى الغاية والهدف وهو الإيمان "أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون" (الروم : ٣٧) .

٣ - القلب :

ذكر القلب بالقرآن الكريم على عدة صور ومعان متكاملة، تؤدي وظائفه ، وتتبادل الوظائف مع سائر مكونات الطبيعة الإنسانية. ويمكن توضيح ذلك فيما يلي : -

القلب بمعنى العقل :

فالعقل سبيل الإنسان إلى العلم والمعرفة، وهو وسيلة في التفقه والتفكير والتدبر واليقين والظن ، ولقد ذكر القلب في مواطن كثيرة كمصدر ومحل لهذه الوظائف العقلية ، ففي تفسير قوله تعالى : "أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها" (الحج : ٤٦) يقول ابن كثير "أفلم يسيروا في الأرض بأبدانهم ويفكرهم أيضاً وذلك كما قال ابن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار عن مالك بن دينار. أوحى الله تعالى الى موسى بن عمران عليه السلام : أن ياموسى

اتخذ نعلين من حديد وعصا ثم سح فى الأرض ثم أطلب الأثار والعبر حتى يتخرق النعلان وتنكسر العصا^(١) .. ويقول الطبرى فى نفس الآية : "أفلم يسيروا فى الأرض" فيتفكروا فيها ويعتبروا بها ويعلموا بتدبرهم أمرها وأمر أهلها سنة الله فى خلقه ، فىكون لهم إذا تدبروا واعتبروا وأناهبوا إلى الحق قلوب يعقلون بها حجج الله على خلقه وقدرته^(٢) فذكرت القلوب بمعنى العقول وسيلة التدبر والتعقل .

ويتضح ذلك أيضاً فى تفسير عبد الله بن مسعود لقوله تعالى : "ختم الله على قلوبهم"
(البقرة : ٧) عن عبد الله بن مسعود قال فلا يعقلون ولا يسمعون^(٣) وهم لا يعذرون على ذلك .
ومن ذلك أيضاً ماجاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه" (الأحزاب : ٤) عن مجاهد قال أن رجلا من بنى فهر قال إن فى جوفى قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد "وكذب".^(٤) .. فذكر القلب بمعنى العقل .

ومن ذلك أيضاً ورد ذكر القلب كمحل لوظائف العقل كالعلم واليقين ، كما جاء فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحبى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليظمنن قلبى" (البقرة : ٢٦٠) عن ابن عباس ليظمنن قلبى "قال أعلم أنك تحببىنى إذا دعوتك"^(٥) وعن

(١) عن مالك بن دينار (سنده) : "حدث هارون بن عبد الله ثنا سيار ثنا جعفر ثنا مالك بن دينار" .

- تفسير ابن كثير : ج٣ ، ص ٢٢٧ .

(٢) تفسير الطبرى : ج١٧ ، ص ١٢٩ .

(٣) عن عبد الله بن مسعود : "حدثنى موسى بن هارون عن عبد الله بن مسعود" .

- تفسير الطبرى : ج١ ، ص ٨٩ .

(٤) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى الحرث قال حدثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبى نجیح عن مجاهد" .

- تفسير الطبرى : ج٢١ ، ص ٧٥ .

(٥) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس" .

- تفسير الطبرى : ج٣ ، ص ٣٥ .

سعيد بن جبیر "ليطمئن قلبي" قال ليزداد يقيني". وعن قتادة والضحاك مثله. (١) . ، فالقلب هنا كان موطن العلم واليقين وهي من الوظائف العقلية .

وفى قوله تعالى : "ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون" (المنافقون: ٣) يقول أبو جعفر الطبري : "لا يفقهون صواباً من خطأ وحقا من باطل" (٢) . ، فالتفقه والعلم أيضاً من وظائف العقل لكنها انعدمت هنا بسبب الطبع على القلب باعتباره بمعنى العقل .

كذلك ذكر القلب كمحل للظن كما فى قوله تعالى : "بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء" (الفتح : ١٢) . فالظن نوع من الفكر وهو من وظائف العقل .

ومما ورد فى التفسير بالمأثور من ذكر محل القلب بمعنى العقل ، فالقلب مكانه صدر الانسان، والقرآن الكريم ذكر الصدر بمعنى العقل كما فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم" (العنكبوت : ٤٩٠) عن الضحاك : كان نبى الله لا يكتب ولا يقرأ وكذلك جعل الله نعتة فى التوراة والإنجيل أنه نبى أمى لا يقرأ ولا يكتب وهى الآية البينة فى صدور الذين أوتوا العلم ، وقال آخرون عنى بذلك القرآن وقالوا بل هذا القرآن آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم من المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم. ورأى أبو جعفر الرأى الأول أولى بالصواب لانه يتفق وسياق معنى الآيات. (٣) وعلى أية حال فقد ذكر أن العلم الذى محله العقل يكون فى الصدور أى فى محل القلب .

(١) عن سعيد بن جبیر (سنده) : "حدثنى أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبى الهيثم عن سعيد بن

جبیر .

- تفسير الطبرى : ج٣ ، ص ٣٥ .

(٢) تفسير الطبرى : ج٢٨ ، ص ٦٩ .

(٣) عن الضحاك (سنده) : "حدثنى الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول اخبرنا عبيد عن الضحاك" .

- تفسير الطبرى : ج٢١ ، ص ٥ .

وفى قوله تعالى : "وربك يعلم ماتكن صدورهم وما يعلنون" (التقصص : ٦٩) ، يقول أبو جعفر الطبرى : "وربك يعلم ماتخفى صدور خلقه وهو من أكننت الشئىء فى صدرى إذا أضمرته فيه، وما يعلنون يقول ما يبذونه بألسنتهم وجوارحهم." (١) ولما كان اتخاذ القرار فى كتمان الأمر أو الجهر به نوع من النشاط العقلى فقد ذكر أنه فى الصدور محل القلب .

وفى قوله جل ثناؤه : "وليبتلئ الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور" (آل عمران : ١٥٤) يقول أبو جعفر : "ليختبر الله الذى فى صدوركم من الشك وليتبين ما فى قلوبكم من الاعتقاد له ولرسوله صلى الله عليه عليه وسلم" (٢) ، ولما كان الشك والاعتقاد كلاهما نوعين من الفكر وهو من وظائف العقل ، فقد ذكر أنه فى الصدور والقلوب . ومن آيات القرآن الكريم ما ذكر فيه المعنى للقلب كما فى قوله تعالى : "لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم" (التوبة : ١١٠) . عن قتادة قال " ريبة فى قلوبهم" شكاً فى قلوبهم ، إلا أن تقطع قلوبهم" قال إلى أن يموتوا (٣) .. فالاية الكريمة قد ذكرت القلب بمعنييه : الأول القلب بمعنى العقل فهو موطن الشك وهذا نوع من الفكر وهو من وظائف العقل .. والثانى القلب بمعناه المادى الذى لو تقطعت لمات صاحبه .

- القلب محل الإيمان :

فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا أمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم" (المائدة : ٤١) . عن مجاهد قال هم المنافقون (٤) ، وفى

(١) تفسير الطبرى : ج ٢٠ ، ص ٦٥ .

(٢) نفس المرجع : ج ٤ ، ص ٩٥ .

(٣) عن قتادة (سنده) : "حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : ج ١١ ، ص ٢٥ .

(٤) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن أبي ابن نجیح عن مجاهد" .

- تفسير الطبرى : ج ٦ ، ص ١٥١ .

رواية أخرى أن أبا هريرة قال عني بها يهودياً هو عبد الله ابن سوريا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله يا أبا القاسم أنهم يعلمون أنك نبي مرسل ولكنهم يحسدونك ، ثم كفر بعد ذلك ، فكان هذا من ابن سوريا إيماناً برسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه ولم يكن مصداقاً لذلك بقلبه^(١) . فالإيمان لا يصدر عن كلام من الأفواه وإنما هو ما استقر بالقلب .

عن عبد الله بن مسعود أن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه .. فابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه ،^(٢) .

فإذا خلا القلب من الإيمان كان قلباً مريضاً ، يذكر في تفسير قوله تعالى : "فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة" (المائدة / ٥٢) .. عن قتادة قال هم أناس من المنافقين كانوا يوادون اليهود ويناصحونهم دون المؤمنين"^(٣) ..

ومن صور مرض القلب لخلوه من الإيمان وتراكم الذنوب عليه ، ما ذكر في التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم" (البقرة : ٧) عن مجاهد قال : "القلب مثل الكف فإذا أذنب ذنباً قبض إصبعاً حتى يقبض أصابعه كلها ، وكان أصحابنا يرون أنه الران ، فالذنوب على القلب تحف به من نواحيه حتى تلتقى عليه ، فالتقاؤها عليه الطبع ، والطبع الختم" ، وعن أبي هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) عن أبي هريرة (سنده) : "عن ابن إسحاق عن الزهري عن أبي هريرة "

- تفسير الطبري : ج ٦ ، ص ١٥١ .

(٢) عن عبد الله بن مسعود (سنده) : "حدثنا أبو بكر عاصم عن زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود .

- الإمام أحمد بن حنبل : المسند : مرجع سابق ، ج ٥ ، رقم ٣٦٠٠ .

(٣) عن قتادة (سنده) : "حدثني بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة .

- تفسير الطبري : ج ٦ ، ص ١٨٠ .

"إن المؤمن إذا أذنب كان نكته سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، فإن زاد زادت حتى يغلف قلبه فذلك الران الذي قال الله جل ثناؤه : "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" (المطففين ١٤) (١) .

فالنبي صلى الله عليه وسلم - باعتباره المصدر الثاني من مصادر التفسير بالمأثور - قام بتفسير الآية وتوضيح المقصود بالران ، وتلى ذلك اجتهاد الصحابة والتابعين في التفسير باعتبارهم المصدر الثالث للتفسير بالمأثور ، فعن مجاهد قال : الران أيسر من الطبع ، والطبع أيسر من الإقفال والإقفال أشد ذلك كله" (٢) والران ذكر في الآية السابقة ، والطبع ذكر في قوله تعالى "ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون" (الاعراف : ١٠٠) ، والإقفال في قوله تعالى : "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" (محمد : ٢٤) .

القلب بمعنى النفس والذات الانسانية :

ذكر القلب في التفسير بالمأثور لأيات القرآن الكريم بمعنى الإنسان ككل ، ومن ذلك ماورد في التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين" (الشعراء : ١٩٣ : ١٩٤) عن الضحاك قال : "نزل به الروح الأمين فتلاه عليك يا محمد" (٣) ففسر "على قلبك" بعليك يا محمد .

(١) عن مجاهد (سنده) "حدثني أبو كريب قال ثنا وكيع عن الأعمش عن مجاهد" .

عن أبي هريرة (سنده) : "حدثني محمد بن يسار قال ثنا صفوان بن عيسى قال ثنا ابن عجلان عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة .

- تفسير الطبري : ج ١ ، ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) عن الضحاك (سنده) : "حدثني الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول اخبرنا عبيد عن الضحاك" .

- تفسير الطبري : ج ١٩ ، ص ٦٨ .

وفى تفسير قوله تعالى : " أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه" (المجادلة : ٢٢)
قال أبو جعفر الطبرى " أن معناه قضى لقلوبهم الإيمان ، ففى بمعنى اللام ، والمعلوم أن القلوب المراد
بها أهلها فأجتزى بذكرها من ذكر أهلها" (١)

وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ولاتكنتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه" (البقرة :
٢٨٣) عن الربيع قال لا يحل لأحد أن يكتم شهادة هى عنده ، وإن كانت على نفسه والوالدين ، ومن
يكتمها فقد ركب اثماً عظيماً" (٢) ، فالإنسان كاتم الشهادة هو الآثم المرتكب للمعصية .
ومن المواضع التى ذكرت فيها القلوب وقصد بها أشخاص كثيرون ، ماجاء فى التفسير
بالمأثور لقوله تعالى : "تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون" (الحشر : ١٤) عن
قتادة : "تجد أهل الباطل مختلفة أهواؤهم ، مختلفة أعمالهم فقلوبهم شتى أى هم مشتتون لاختلاف
أهوائهم ومعادة بعضهم بعضاً" (٣) .

وفى تفسير قوله تعالى : "واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم"
(آل عمران : ١٠٣) عن قتادة : "اذكروا أيها المؤمنون إذ كنتم اعداء يقتل بعضكم بعضاً ، ويأكل
شديدكم ضعيفكم حتى جاء الله بالإسلام ، فألف به بينكم وجمع جمعكم عليه وجعلكم عليه
إخواناً" (٤) لقد وضع التفسير بالمأثور للأيتين السابقتين أنه قصد بالقلوب الشتى الأقسام المختلفون ،
وبالقلوب المتألفة الإخوان المتحابون .

(١) تفسير الطبرى : ج ٢٨ ، ص ١٨ .

(٢) عن الربيع (سنده) : "حدثنى المثنى قال اخبرنا اسحق قال ثنا ابن ابي جعفر عن أبيه عن الربيع"

- تفسير الطبرى : ج ٣ ، ص ٩٤ .

(٣) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : ج ٢٨ ، ص ٣٢ .

(٤) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : ج ٤ ، ص ٢٢ .

ومن رأى القلب بمعنى النفس من المفسرين الأوائل ماورد فى تفسير قوله تعالى : "ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه" (الأحزاب : ٤) . عن قتادة قال كان الحسن يقول كان رجل يقول : لى نفس تأمرنى ونفس تنهانى ، فأنزل الله فيه ماتسمعون^(١) .

وباستقراء التفسير بالمأثور للآيات القرآنية السابقة تبين أن القلب أية من آيات معجزة خلق الانسان ، تعلن دقائقه استمرار وجود الروح بالجسد فى الحياة الدنيا ، ويعلن توقفها انتقال الروح إلى العالم الآخر .

ولقد ذكر القلب فى آيات القرآن الكريم على عدة صور ومعان متكاملة تؤدى وظائفه وتتبادل الوظائف مع سائر مكونات الطبيعة الانسانية ، فالعقل سبيل الانسان إلى العلم والمعرفة ، ووسيلته فى التفكير والتدبر والظن واليقين والعلم والتفقه ، ومع ذلك فإن القلب ذكر فى القرآن كمصدر لهذه الوظائف العقلية ، فالقلوب يعقلون بها ويفقهون بها ، والقلوب هنا بمعنى العقول، فإذا طبع على القلوب ، ورانت عليها الذنوب ، فقدت قدرتها على العلم والتفقه .

ولم يقتصر الذكر على القلب كمصدر للوظائف العقلية ، بل اعتبر محل القلب وهو الصدر محلاً لهذه الوظائف، فهو محل العلم واليقين ، ومحل الشك والظن ، وفيه يضم ما لا يعلن ، ويتخذ القرار فى كتمان الأمر أو الجهر به .

والقلب مركز الايمان ومحل رسوخه ، فالايان هو مااستقر بالقلب وصدق العقل ، أما مايصدر عن الأفواه دون القلوب فهو النفاق وليس بإيمان. فإذا ماخلا القلب من الايمان كان قلباً مريضاً ، رانت عليه الذنوب وتراكت حتى غطته واغلقته تماما .

(١) عن قتادة (سنده) : نفس السند السابق .

- تفسير الطهرى : ج ٢١ ، ص ٧٥ .

كذلك ذكرت القلوب وقصد بها الجماعة من الناس المتحابين أو المتنافرين . فالقلب ورد ذكره
بمعنى النفس والذات الانسانية ككل .

٤ - الروح :

تعتبر الروح مكونا من مكونات الطبيعة البشرية ، ورغم أن القرآن الكريم لم يعرف بمعناها
ولم يحدد ماهيتها إلا أنها تبدو فى مكانة سامية ، فقد نسبها الله تعالى إلى ذاته العليا إذ يقول
"فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين" (الحجر : ٢٩) ولهذا استحق الإنسان الكامل
سجود الملائكة له تنفيذاً لأمر الله ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "وأتينا عيسى ابن مريم
البيئات وأيدناه بروح القدس" (البقرة : ٨٧) قيل القدس هو الله ، قال ابن زيد : الله القدس وأيد
عيسى بروحه قال نعت الله القدس وقرأ قول الله تعالى "هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس"
قال القدس والقدوس واحد. (١) ، والآية التى ذكرها ابن زيد هى (الحشر : ٢٣) .

وربما حاول بعض أهل التأويل تفسير "الروح" والوقوف على طبيعتها . ومن ذلك عن
الضحاك "ونفخت فيه من روحي" قال: من قدرتى . (٢) بيد أنه لا يمكن الجزم بذلك فقد بلغ الأمر
بالمفسرين الأوائل أن كانوا يختلفون فى تفسير "الروح" فى الآية الواحدة ، وفيما يلى بعض الأمثلة
الدالة على ذلك : -

فى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "ويسألونك عن الروح" (الإسراء : ٨٥) عن قتادة قال : هو
جبريل ، وعن ابن عباس قال : الروح ملك وعن على بن أبى طالب أنه قال فى قوله تعالى:

(١) قال ابن زيد (سنده) : "حدثنى يونس قال اخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد .

تفسير الطهرى : ج١ ، ص ٣٢١ .

(٢) عن الضحاك (سنده) : "حدثنى المسيب بن شريك عن أبى روق عن الضحاك .

تفسير الطهرى : ج٢٣ ، ص ١١٨ .

"يسألونك عن الروح" هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه ، لكل وجه منها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله عز وجل بتلك اللغات كلها ، يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة . (١)

وفى قوله تعالى : "يوم يقوم الروح والملائكة صفا" (النبا : ٣٨) قال أبو جعفر : "اختلف أهل العلم فى معنى الروح فى هذا الموضع فعن ابن مسعود قال الروح ملك فى السماء الرابعة، هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة، يسبح الله كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة، يخلق الله من كل تسبيحة ملكا من الملائكة يجيء يوم القيامة صفا وحده . وعن الضحاك قال الروح جبريل عليه السلام. وعن مجاهد قال الروح خلق على صورة بنى آدم يأكلون ويشربون . عن الحسن قال الروح هم بنو آدم وقال قتادة هذا بما كان يكتمه ابن عباس ، واخيراً عن ابن عباس قال يعنى حين تقوم أرواح الناس مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن ترد الأرواح إلى الأجساد. (٢) ..

(١) عن قتادة (سنده) : "حدثنى محمد بن الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة .

عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس

عن على بن أبى طالب (سنده) : "حدثنى على قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى أبو مرواه يزيد بن سمرة عن على

ابن أبى طالب .

- تفسير الطهرى : ح ١٥ ، ص ١٠٥ .

(٢) عن ابن مسعود (سنده) : "حدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال ثنا رواد بن الجراح عن أبى حمزة عن الشعبي عن

علقمة عن ابن مسعود" .

عن الضحاك (سنده) : "حدثنى ابن حميد قال ثنا مهرا ن عن سفيان عن الضحاك" .

عن مجاهد (سنده) : "حدثنى ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد" .

عن الحسن (سنده) : "حدثنى ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن" .

عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس .

- تفسير الطهرى ح ٣٠ ، ص ١٥ ، ١٦ .

وفى قوله تعالى : "يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده" (غانر : ١٥) .. قال أبو جعفر : "اختلف أهل التأويل فى معنى الروح فى هذا الموضع عن قتادة قال : الوحي من أمره ، عن الضحاك فى قوله "يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده" قال يعنى بالروح الكتاب ينزله على من يشاء ، وعن السدى قال : النبوة على من يشاء (١) .

ويظهر نفس الاختلاف فى تفسير قوله تعالى : "ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده" (النحل : ٢) ، عن ابن عباس "بالروح" يقول بالوحي ، وعن الربيع بن أنس فى قوله "ينزل الملائكة بالروح .. الآية قال : كل كلم تكلم به ربنا فهو روح منه وقرأ "وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا" (الشورى:٥٢) (٢) .. فقصد بذلك أن الروح هو القرآن الكريم .

وفى تفسير قوله تعالى : "ولاتبأسوا من روح الله" (يوسف : ٨٧) عن قتادة قال من روح الله أى من رحمة الله ، وعن السدى والضحاك مثله (٣) .

(١) عن قتاده (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتاده .

عن الضحاك (سنده) : حدثنى هرون بن إذريس الأصم قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحارى عن جويبر عن الضحاك .

عن السدى (سنده) : "حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى .

- تفسير الطبرى : ح٢٤ ، ص ٣٣ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس" .

عن الربيع بن أنس (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن أبيه عن الربيع بن أنس" .

- تفسير الطبرى ، ح١٤ ، ص ٥٤ .

(٣) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : ح١٣ ، ص ٣٣ .

أما فى قوله تعالى : "إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه" (النساء: ١٧١) .. قال أبو جعفر "قال بعض المفسرين روح منه أى نفخة من جبريل فى درع مريم بأمر الله.. وقال بعضهم يعنى بقوله روح منه أنه كان انسانا باحياء الله له بكلمه منه: عن قتادة وكلمه ألقاها إلى مريم هو قوله كن فيكون . وفى التفسير بالمأثور وعن أبى بن كعب رضى الله عنه فى قوله "وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم" (الأعراف : ١٧٢).. قال أخذهم فجعلهم أرواحا ثم صورهم ثم استنطقهم فكان روح عيسى من تلك الأرواح التى أخذ عليها العهد والميثاق فأرسل ذلك الروح الى مريم فدخل من فيها فحملت والذى خاطبها هو روح عيسى عليه السلام" (١).

إن الأمثلة على اختلاف أقوال المفسرين فى معنى الروح كثيرة ، ومن النماذج التى ذكرت منها تبين أن الروح فى القرآن قد ذكرت فى التفسير بالمأثور بأنها من الله وبأنها جبريل وهذا كثير.. كما فسرت بأنها ملك من الملائكة ، والوحى ، والقرآن ، النبوة ، وبأنها بنو آدم ، وخلق كبنى آدم وبأنها الرحمة والفرج من الله .. وليس هذا الاختلاف فى حقيقته إلا الاتفاق على ما جاء فى قوله تعالى : "قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" (الإسراء : ٨٥) ، وكان هذا الرد من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سائليه من المشركين واليهود عن الروح ، عن عبد الله بن مسعود قال : كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث بالمدينة وهى متكىء على عسيب ، قال فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح ، قال بعضهم ، لاتسألوه ، فسألوه عن الروح فقالوا : يا محمد ما الروح ؟ فقام فتوكأ على العسيب (*) ، قال : فظننت أنه

(١) عن قتادة (سنده) : "حدثنى الحسن بن يحيى قال اخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة".

عن ابى بن كعب (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد قال اخبرنى أبو

جعفر عن الربيع عن أبى العالبيه عن ابى بن كعب "رضى الله عنه" .

- تفسير الطبرى : ج٦ ، ص ٢٥ .

(*) (العسيب : جريدة النخل المستقيمة يكشط خوصها) : المعجم الوجيز ، ص ٤١٨ .

يوحى إليه ، فقال : "ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً
"قال: فقال بعضهم قد قلنا لكم لا تسألوه: (١) ، وعن ابن عباس قال : قالت قرش لليهود : اعطونا
شيئاً نسأل عنه هذا الرجل ، فقالوا سلوه عن الروح ، فسألوه - فنزلت : "يسألونك عن الروح قل
الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً" قالوا : أوتينا علماً كثيراً . أوتينا التوراة ، ومن
أوتى التوراة فقد أوتى خيراً كثيراً ، قال : فأنزل الله . عز وجل : "قل لو كان البحر مداداً
لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً" (الكهف : ١٠٩) (٢) .

لقد تبين من استقراء التفسير بالمأثور لأيات القرآن الكريم ، أن الله تعالى قد خلق الانسان ،
كما خلق غيره من المخلوقات والكائنات ، لتحقيق الهدف الأسمى من الوجود ، ألا وهو عبادة الله
المخالق القدير ، قال تعالى : "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" (الذاريات : ٥٦) ، وذلك منذ أن
أهبط الله آدم عليه السلام إلى الأرض ، ومنح ذريته القدرة على التناسل والتكاثر ، فأخذوه
يتتابعون في الحياة على الأرض ، جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرن، تخلف كل أمة منهم الأمم التي
سبقتها ، والكل يقضى العمر المقدر له ، في زمن الابتلاء والاختبار المحدد له ، فإذا انقضى الزمن
غادر مقر الاختبار ، وظل في انتظار البعث ، لتعلن له نتيجة أعماله ، ثم ليحاسب على هذه
الأعمال وينال الجزاء المناسب لها . فكان معنى الاستخلاف في التفسير بالمأثور هو تتابع الأجيال
والأمم على الأرض ، ولم يقبل به غير هذا المعنى للاستخلاف .

(١) عن عبد الله بن مسعود (سنده) : "حدثني وكيع قال ثنا الأعمش عن ابراهيم عن علقمه عن عبد الله بن مسعود" .

- الامام احمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ج ٥ ، رقم ٣٦٨٨ ، ص ٢٥٤ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثني قتبيبه بن سعد قال ثنا يحيى بن زكريا عن داود عن عكرمة عن ابن عباس .

- الامام احمد بن حنبل : المسند ، مرجع سابق ، ج ٤ ، رقم ٢٣٠٩ ، ص ٨٥ .

وبالنظر من خلال التفسير بالمأثور لآيات القرآن الكريم إلى الطبيعة الانسانية ، يتضح أن الله سبحانه لم يترك الانسان دون تهيئة واعداد لدوره فى الحياة وما بعد الحياة ، بل وهبه كل مايلزمه ويعينه على أداء هذا الدور ، وخلقه مزوداً فى ذاته بكل الامكانيات اللازمة له ، متداخلة فى تكوينه ، متكاملة فى كيانه ، تتبادل وظائفها فيما بينها ، لتعينه على العمل لتحقيق هدفه المحدد .

وكما بين التفسير بالمأثور أن الله قد ذكر الانسان فى آيات القرآن الكريم ككل بكيانه المتكامل وذلك بلفظه "انسان" ، كما ذكره بلفظة "نفس" وقصد بها الانسان ككل أيضاً .

أما النفس فكما ذكرها الله فى آيات القرآن الكريم بمعنى الانسان عامة ، فقد بين التفسير بالمأثور للآيات القرآنية ، أنها قد ذكرت بمعان أكثر خصوصية تخص ذوات معينة ، فخصت بها الذات الإلهية المقدسة فى بعض الآيات وقصد بها ذات آدم عليه السلام فى آيات أخر ، ثم ذكرت بمعنى الروح فى بعض الآيات والآيات والأحاديث النبوية .

وتناول التفسير بالمأثور لآيات القرآن الكريم مكونات الطبيعة الانسانية بالتعريف بها وبوظائفها ، على سبيل تكاملها وتبادلها الوظائف فيما بينها ، لا على سبيل الفصل بينها ، أو إظهار تعارض وظائفها ، أو تمييز وتفضيل أحدها على الآخر .

ومن ذلك ذكر الجسد كأحد مكونات الطبيعة الانسانية ، تدب فيه الحياة ، وتصدر عنه الحركة والحيوية ، ويحتاج للطعام والشراب ، وبين التفسير بالمأثور لآيات القرآن الكريم ، أن الجسد محل الروح ، يكون صالحاً إذا سكنته الروح الصالحة، ويكون خبيثاً إذا كان فيه روح خبيث .

ويهلك الجسد إذا فارقت الروح فيصير بدنأ لاهياة فيه ، والجسد ذكر فى القرآن الكريم بلفظه الجسد" و "البدن" ، كذلك ذكر بلفظة "الجسم" وكان ذلك فى موضعين يرتبطان بمعنى القوة البدنية . وكان الحرص على سلامة أعضاء الجسم من الأمور الواجبة على الانسان، لأن الله سبحانه قد كرم هذه الاعضاء بذكرها فى آيات القرآن الكريم، فقد ذكرت العين والأذن والأنف والسن واليد

والرجل، كذلك ذكرت وظائفها كالبصر والسمع واللمس والمشى وغير ذلك، وبلغ تكريم هذه الاعضاء غايةه بأن نصبها الله شهوداً على أعمال صاحبها يوم الحساب، تنطق بما يحاول تكذيبه أو التنصل منه .

وفى التفسير بالمأثور لآيات القرآن الكريم تبين دور الطاقات العقلية الصادرة عن العقل الذى لم يذكر باسمه بل ذكر بأفعاله الصادرة عنه مثل تعقلون ، يعقلون ، وغيرها لتأكيد أهمية هذه الطاقات والأفعال فى الوصول بالإنسان إلى اليقين الكامل والإيمان الراسخ عن طريق أعمال العقل فى التفكير والتدبر والإدراك والفهم والعلم والتفقه ، وغير ذلك من الوظائف العقلية الحيوبية ، فإذا أهمل الانسان هذه الوظائف ، وأوقف عقله عن العمل ، ولم يستغل ما وهبه الله من طاقات وقدرات تصدر عن هذا العقل ، يكون قد ضل ضلالاً مبيئاً ، وتساوى بالبهائم التى لاتعى شيئاً ، بل كان أضل سبيلاً .

وذكر القلب فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم على عدة صور ومعان متكاملة ، تؤدى وظائفه، وتتبادل الوظائف مع سائر مكونات الطبيعة الانسانية ، فالقلب يقوم بوظائف العقل من علم وإدراك وظن ويقين وتفقه وغيرها، ويتسع محل القلب ألا وهو الصدر لتصدر عنه هذه الوظائف العقلية أيضاً ، ويذكر القلب كمحل للإيمان الصادق ، فإذا خلا القلب من الايمان كان قلباً مريضاً مغلقاً ، كذلك ذكر القلب بمعنى الذات الإنسانية ككل ، فى مواضع عدة بالتفسير بالمأثور لآيات القرآن الكريم .

أما الروح فقد اختلفت المفسرون الأوائل فى تحديد ماهيتها وطبيعتها ، وأورد التفسير بالمأثور معانى مختلفة فى تعريف الروح بالموضع الواحد فى نفس الآية ، ففسرت الروح بأنها من الله ، وبأنها جبريل ، وبأنها من الملائكة ، وأنها الوحى والقرآن والنبوة ، وبأنها بنو آدم ، وخلق كبنى آدم ، وبأنها الرحمة والفرج من الله وغير ذلك .

لقد تبين من خلال ذلك مدى الترابط والتكامل بين مكونات الطبيعة الإنسانية من المنظور الاسلامى ، ومدى تساويها فى الأهمية وعدم تفضيل مكون منها على الآخر ، بل كلها تتضافر فى العمل على تحقيق الهدف من وجود الانسان فى الكون الا وهو عبادة الخالق القدير .

ثالثاً : تكريم الإنسان في التفسير بالمأثور للقرآن الكريم :

"الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات" (غافر ٦٤) .. لقد جمعت هذه الآية الكريمة أبرز صور تكريم الإنسان في الحياة الدنيا ، وفي ضوئها يمكن توضيح ذلك من خلال تناول كل جزء من أجزائها بالتفسير بالمأثور للقرآن الكريم..

١ - تمكين الإنسان من الإقامة على الأرض :

في التفسير بالمأثور لقوله تعالى: "الله الذي جعل لكم الأرض قراراً" .. قال أبو جعفر: "إذ جعل الله لكم الأرض التي أنتم على ظهرها سكان قراراً تستقرون عليها وتسكنون فوقها" (١) .. وقال في تفسير قوله جل ثناؤه "ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش" (الأعراف: ٩) يقول تعالى: ولقد وطنا لكم أيها الناس في الأرض وجعلناها لكم قرارا تستقرون فيها ومهادا تمتهدونها وفراشاً تفترشونها، وجعلنا لكم فيها معاش تعيشون بها أيام حياتكم من مطاعم ومشارب نعمة منى عليكم" (٢) . واختلف أهل العلم في تفسير "مناكبها" في قوله تعالى: "هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه" (الملك : ١٥) .. عن ابن عباس قال جبالها، وعن قتادة مثله، بينما جاء عن مجاهد قال مناكبها طرقها وفجاجها، ويرى الطبري أن القول في جوانبها ونواحيها أولى القولين بالصواب لأنها نظير مناكب الإنسان التي هي من أطرافه" (٣) . ومن نعم الله تعالى أن ألقى في الأرض رواسي وهي جمع راسية وهي الثوابت في الأرض من الجبال لئلا تميد بكم ، عن قتادة وعن الحسن عن قيس بن عباد : "أن الله تعالى لما خلق الأرض

(١) تفسير الطبري : ح ٢٤ ، ص ٥٢ .

(٢) تفسير الطبري : ح ٨ ، ص ٩٣ .

(٣) عن ابن عباس (سنده) "حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس .

عن مجاهد (سنده) : "حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد"

- تفسير الطبري : ح ٢٩ ، ص ٥ .

جعلت قمر قالت الملائكة ما هذه بمقرة على ظهرها أحداً فأصبحت صباحاً وفيها رواسيها فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال . كذلك خلق الله للإنسان الأنهار والسبل، عن قتادة سبلاً قال طرقاتاً ، وقوله لعلكم تهتدون يقول كى تهتدوا بها إلي الأماكن والمواضع التى تريدون فلا تضلوا ولا تتحيروا، وذلك فى التفسير بالمأثور لقوله جل ثناؤه "وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً" (النحل : ١٥) (١) .. وهذا كرم وتكريم من الله للإنسان على الأرض فإنه "هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعاً" (البقرة : ٢٩) وفى تفسيرها بالمأثور عن قتادة كان يقول : نعم والله سخر لكم مافى الأرض. (٢) .

فالله سبحانه وتعالى قد خلق الأرض فى صورة ثلاثم معيشة بنى آدم وجعل فيها سبل معيشته وأبنائه، وطلب من بنى آدم أن ينطلقوا فى أرجائها سعياً إلى كسب الرزق ، الذى خلقه الله ويسره لبنى آدم ، وملاً أنحاءها به ، ليتمتع بنو آدم طوال حياتهم بنعم الله التى لا تحصى .

٢ - تسخير المخلوقات البعيدة عن متناول يده :

ومن صور تكريم الله للإنسان أن سخر له المخلوقات البعيدة عن متناول يده، لنفعه فقد جعل الله السماء بناءً "غافر : ٦٤) قال أبو جعفر : "بناها فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها لمصالحكم وقوام دنياكم" (٣) وفى التفسير بالمأثور لقول الله تعالى : "وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم

(١) عن قتادة (سنده) : "حدثى بشر قال ثنى يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : ج ١٤ ، ص ٦٣ .

(٢) عن قتادة (سنده) : (نفس السند) .

- تفسير الطبرى : ج ١ ، ص ١٤٩ .

(٣) نفس المرجع : ج ٢٤ ، ص ٥٢ .

الليل والنهار" (ابراهيم : ٣٣)، عن ابن عباس قال : دؤبهما فى طاعة الله وقوله تعالى "سخر لكم الليل والنهار" يختلفان عليكم باعتقاب إذا ذهب هذا جاء هذا بمنافعكم وصلاح أسبابكم فهذا لكم لتصرفكم فيه لمعاشكم وهذا لكم للسكن تسكنون فيه ورحمة منه بكم. (١)

وفى قوله تعالى : "وهو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً" (يونس / ٦٧) .. قال أبو جعفر الطبرى : "فهو الذى جعل لكم الليل وفصله من النهار لتسكنوا فيه مما كنتم فيه نهاركم من التعب والنصب وتهدؤا فيه من التصرف والحركة للمعاش والعناء، والنهار مبصراً وإنما يبصر فيه" (٢) .

والله تعالى : "هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب" (يونس : ٥) : قال الطبرى : "فهو قد أضاء الشمس وأنار القمر وقدره منازل لا يجاوزها ولا يقصردونها على حال واحدة أبداً لتعلموا أيها الناس عدد السنين دخول ما يدخل منها وانقضاء ما يستقبل منها وحساب أوقات السنين وعدد أيامها وحساب ساعات أيامها. (٣)

وقال بعض أهل التأويل فى تفسير قوله تعالى : "والشمس والقمر حساباً" (الأنعام : ٩٦) عن ابن عباس يجريان إلى أجل جعل لهما أى يجريان فى أفلاكهما بحساب.. وعن الربيع قال الشمس والقمر فى حساب إذا خلت أيامهما فذلك آخر الدهر وأول الفزع الأكبر ذلك تقدير العزيز العليم (٤).

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى خلف بن واصل عن رجل عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس"

- تفسير الطبرى : ج١٣ ، ص١٤٩ .

(٢) تفسير الطبرى : ج١١ ، ص٩٧ .

(٣) تفسير الطبرى : : ج١١ ، ص٦٢ .

(٤) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى محمد بن سعد قال حدثني أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس"

عن الربيع (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع" .

- تفسير الطبرى : ج٧ ، ص١٨٩ .

ومن أمثلة تفسير القرآن بالكريم بالقرآن " عن مجاهد والشمس والقمر حساباً " قال هو مثل قوله تعالى : "كل في فلك يسبحون" ومثل قوله: "والشمس والقمر بحسبان" (١) .

وكذلك خلق الله النجوم وجعلها لنفع الإنسان "وهوالذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر" (الأنعام : ٩٧) يقول أبو جعفر : "والله جعل لكم أيها الناس النجوم أدلة فى البر والبحر إذا ضللتكم الطريق أو تخيرتم فلم تهتدوا فيها ليلاً، تستدلون بها على المحجة فتهتدون إلى الطريق والمحجة فتسلكونه وتنجون بها من الظلمات" (٢) ..

وكما قال تعالى : "وعلامات وبالنجم هم يهتدون" (النحل : ١٦) عن قتادة قال العلامات النجوم وأن الله تعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات جعلها زينة للسماء وجعلها تهتدى بها وجعلها رجوماً للشياطين ، وقال مجاهد مثله .. بينما رأى آخرون مثل ابن عباس قال العلامات معالم الطريق وبالنهار وبالنجم هم يهتدون ليلاً ، وعن الكلبي قال : وعلامات قال الجبال . ورأى أبو جعفر الطبرى : "أن الأولى بتأويل الآية هو قول ابن عباس. (٣) . وهو أن العلامات معالم الطرق بالنهار، وفى الليل يهتدى الناس بالنجوم .

ومن المخلوقات البعيدة عن متناول يد الإنسان والتي سخرها الله لنفعه الرياح والسحاب "والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً" (فاطر : ٩) عن قتادة قال : يرسل الرياح فتسوق السحاب فيبسطه فى السماء ويجمعه كيف يشاء ويجعله قطعاً متفرقة حتى ترى المطر يخرج من بين السحاب (٤) .

(١) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد .

- تفسير الطبرى : ج٧ ص ١٨٨ .

(٢) تفسير الطبرى ج٧ ، ص ١٩٠ .

(٣) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى عن عمه قال ثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس .

عن الكلبي (سنده) : "حدثنى محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبي .

- تفسير الطبرى : ج١٤ ، ص ٦٣ .

(٤) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : ج٢٢ ، ص ٧٩ .

وفى التفسير بالمأثور عن مجاهد يقول فإذا صرف الله ذلك الودق إلى أرض من أراد صرفه إلى أرضه من خلقه رأيتهم يستبشرون بأنه صرف ذلك إليهم ويفرحون . وذلك فى تفسير قوله تعالى : "والله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون" (الروم : ٤٨) (١) .

لقد بلغ تكريم الله للإنسان أن سخر له ولنفعه ما ليس فى متناول يده من المخلوقات، فالسمااء فيها نفعه، والشمس والقمر ينيران الكون نهاراً وليلاً ، وتوصل الإنسان إلى حساب السنين باختلاف صور القمر خلال الشهر، والنهار والليل يتعاقبان، فيهما استمرار الحياة، ففى النهار يكون السعى والعمل وفى الليل الراحة والهدوء، والنجوم منافعها كثيرة فهى زينة للسمااء وهداية للسائرين ورجوماً للشياطين، والرياح تسوق السحاب لينزل المطر حيث يشاء رب العالمين فتحيا الأرض وتنبت النباتات المختلفة والزهور الجميلة وترتوي المخلوقات كلها .

٣ - تكريم الإنسان فى ذاته :

"وصوركم فأحسن صوركم" (غافر : ٦٤) لقد بدأ تكريم الإنسان فى ذاته منذ بداية الخليقة وذلك بالتنويه بخلق آدم وذريته كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه، فأخبر الله تعالى أنه خاطب الملائكة قائلاً لهم "إنى جاعل فى الأرض خليفة" (البقرة : ٣٠) ، ثم قال : "فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين" (الحجر : ٢٩ ، ص ٧٢) ، وعلم آدم الأسماء كلها" (البقرة : ٣) فهذه أربع تشريفات للإنسان : خلقه الله بيده الكريمة ، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، وعلمه أسماء الأشياء، ولهذا قال له موسى الكليم حين اجتمع وإياه فى الملأ الأعلى وتناظرا: أنت آدم أبو البشر الذى خلقك الله بيده، ونفخ فىك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شىء" (٢) .

(١) عن مجاهد . (سنده) : "حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبى نجيب عن مجاهد .

- تفسير الطبرى : ٢١٠ ، ص ٣٥ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، مرجع سابق ، ١٠ ، ص ٨٤ .

وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : " ولقد كرمنا بني آدم " (الإسراء : ٧٠) . عن زيد بن أسلم : قالت الملائكة يارب انك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتنعمون ولم تعطنا ذلك فأعطنا فى الآخرة ، فقال وعزتى لأجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فيكون. (١) .. فأدم كرم بخلقه بيد الله تعالى ، وبنوا آدم كرموا بأنهم ذرية آدم ، وبالنعمة التي أنعم الله بها عليهم .
 وكرم الله الإنسان بخلقه في أحسن صورة : قال تعالى : " لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم " (التين : ٤) عن قتادة قال وقع القسم ههنا ، أى هى جواب القسم " والتين والزيتون وطورسين وهذا البلد الأمين " ، وعن ابن عباس " فى أحسن تقويم " قال فى أعدل خلق وأحسن صورة ، وذكر عن قتادة وإبراهيم وأبى العالية مثله. (٢).

ومما ذكر فى التفسير بالمأثور عن خلق الإنسان فى أحسن صورة " عن ابن عباس قال : خلق كل شئ منكباً علي وجهه إلا الإنسان. والمعنى فى أحسن تعديل شكلاً وانتصاباً. (٣).
 وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : " الذى خلقك فسواك فعدلك " (الانطار : ٧) ، قال الطبرى : " اختلف القراء فى قراءة فعدلك فقرأته عامة المدينة ومكة والشام والبصرة فعدلك بتشديد الدال ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بتخفيفها ، وكان من قرأ بالتشديد وجه معنى الكلام إلى أنه جعلك معتدلاً معدل الخلق مقوماً ، وكان الذين قرؤه بالتخفيف وجهوا معنى الكلام إلي صرفك أو أمالك إلى أى صورة شاء : إما إلى صورة قبيحة ، أو إلى صورة بعض قراباته ، ثم يقول الطبرى : " وأولى الأقوال أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى. (٤)

(١) عن زيد بن أسلم (سنده) : " حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم .

- تفسير الطبرى : ج ١٥٥ ، ص ٨٥ .

(٢) عن قتادة (سنده) : " حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة " .

عن ابن عباس (سنده) : " حدثنى ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو قال ثنا عاصم عن ابن أبى رزين عن ابن عباس .

- تفسير الطبرى : ج ٣٠ ، ص ١٥٦ .

(٣) عن ابن عباس (سنده) : " حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن عكرمه عن ابن عباس " .

- تفسير الطبرى : نفس المرجع : ج ٣٠ ، ص ١٥٦ .

(٤) تفسير الطبرى : ج ٣٠ ، ص ٥٥ .

وفى تفسير قوله تعالى "فى أى صورة ماشاء ركبك" (الانفطار : ٨) : عن مجاهد فى أى شبه أب أو أم أو خال، أو عم، وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سأل رجلاً: ما ولد لك؟ قال : يارسول الله . ما عسى أن يولد لى إما غلام وإما جاريه قال : فمن يشبهه ؟ قال : يارسول الله : ما عسى أن يشبه إما أباه وإما أمه فقال النبى صلى الله عليه وسلم عندها مه، لاتقولن هكذا، إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضر الله كل نسب بينها وبين آدم، أما قرأت هذه الآية فى أى صورة ماشاء ركبك" (١).

وكما كرم الله الإنسان بحسن خلقه واعتدال صورته فقد أنعم عليه بالحواس المعروفة ، "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة" (النحل : ١٨)، قال الطبرى : "يقول الله تعالى ذكره والله تعالى أعلمكم مالم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً ولاتعلمون ، فرزقكم عقولاً تفقهون بها وتميزون بين الخير والشر وبصركم بها مالم تكونوا تبصرون، وجعل لكم السمع الذى تسمعون به الأصوات فيفقه بعضكم عن بعض ماتتجاوزن به بينكم ، والأبصار التى تبصرون بها الأشخاص فتتعارفون وتميزون بها بعضاً من بعض، والأفئدة يقول القلوب التى تعرفون بها الأشياء فتحفظونها وتفكرون فتفقهون بها، ثم يقول أبو جعفر : "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً كلام متناه ثم ابتدئ الخبر فقييل وجعل الله لكم السمع والأبصار والأفئدة ، وإنما قلنا ذلك كذلك "لأن الله تعالى جعل لعباده السمع والأبصار والأفئدة قبل أن يخرجهم من بطون أمهاتهم، وإنما أعطاهم العلم والعقل بعدما أخرجهم من بطون أمهاتهم. (٢)

(١) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبى نجيع عن مجاهد" وعن النبى صلى الله عليه وسلم (سنده) : "حدثنى محمد بن سنان القزاز قال ثنا مظهر بن الهيثم قال حدثنا موسى ابن على بن أبى رماح اللخمي قال حدثنى أبى عن جدى عن النبى صلى الله عليه وسلم .

- تفسير الطبرى : ج ٣٠ ، ص ٥٦ .

(٢) تفسير الطبرى : ج ١٤ ، ص ١٠٢ .

قاله سبحانه وتعالى قد كرم الإنسان بأن جعله من ذرية آدم عليه السلام الذى شرفه الله بأربع تشريفات : فقد خلقه بيده الكريمة ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة بالسجود له .

وكرم الله الإنسان بخلقه فى أحسن صورة وأعدلها ، فقد خلق الله كل شئ منكباً على وجهه إلا الإنسان ، وجعل فى صورته شبيهاً من أهله على امتداد نسبه إلى آدم عليه السلام .

وكما كرم الله الإنسان بحسن خلقه واعتدال صورته ، فقد أنعم عليه بالحواس من سمع وأبصار وغيرها ، بما زود به جسم الإنسان من أعضاء تصدر عنها هذه الحواس وتتكامل كلها فى خلق الإنسان فى أحسن صورة .

وكان تكريم الله للإنسان عاماً وشاملاً نوعية الرجل والمرأة فلم تقتصر على نوع منهما ولم يفضل أحدهما على الآخر سواء فى الدنيا والآخرة .

ومن صور تكريم الله للإنسان المساواة بين نوعيه الذكر والأنثى فكان تكريمه سبحانه وتعالى للإنسان شاملاً الرجل والمرأة ، ولم يقتصر على نوع منهما ، ولم يفضل أحدهما على الآخر سواء فى الدنيا والآخرة .

ومن ذلك المساواة بين المؤمنين والمؤمنات فى التبشير بالشواب ودخول الجنة قال تعالى : "ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب" (غافر : ٤٠) و "ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً" (النساء : ١٢٣) قال أبو جعفر : " يعنى بذلك جل ثناؤه الذين قال لهم " ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد من دون الله ولياً ولا نصيراً" (النساء : ١٢٢) يقول الله لهم إنما يدخل الجنة وينعم فيها فى الآخرة من يعمل من الصالحات من ذكوركم وإناثكم وذكور عبادى وإناثهم" (١) .

(١) تفسير الطبرى : ج ٥ ، ص ١٩٠ .

ومما ورد فى التفسير بالمأثور عن المساواة بين المؤمنى والمؤمنات فى حق الميراث فى الدنيا كما ساوى بينهم فى الجزاء والثواب فى الآخرة عن قتادة قال : كان أهل الجاهلية لا يورثون المرأة شيئاً ولا للصبى شيئاً وإنما يجعلون الميراث لمن يحترف وينفع ويدفع ، فلما لحق للمرأة نصيبها وللصبى نصيبه وجعل للذكر مثل حظ الأنثيين قالت النساء لو كان جعل أنصبا لنا فى الميراث كأنصبا الرجال ، وقال الرجال إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا فى الآخرة كما فضلنا عليهن فى الميراث فأنزل الله تعالى : "للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن (النساء: ٣٢) يقول المرأة تجزى بحسنتها عشرة أمثالها كما يجزى الرجل. (١)

٤ - إيجاد الرزق وتذليل مصادره :

"ورزقكم من الطيبات" (غافر : ٦٤) فقد بسط الله الأرض للإنسان وسخر له ما فيها من الرزق والأرض وضعها للأنام ، فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ، والحب ذو العصف والريحان" (الرحمن : ١٠ : ١٢) قال أبو جعفر الطبرى : فالأرض وطأها للخلق ، عن ابن عباس قوله للأنام قال كل شىء فيه الروح ، وفى الأرض الفاكهة والنخيل المتكمة فى ليفها والحب ذو العصف ، عن الضحاك قال الحب : البر والشعير ، والعصف : التبن ، وعن ابن عباس قال العصف ورق الزرع الأخضر الذى قطع رؤوسه فهو يسمى العصف إذا يبس ، وعن مجاهد وقتادة مثله ، فالفاكهة ما يأكله الإنسان والتبن ماتأكله الأنعام. (٢) وهذا مثل قوله جل ثناؤه "وفاكهة وأبا متاعاً لكم

(١) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

- تفسير الطبرى : ج ٥ ، ص ٣١ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس"

عن الضحاك (سنده) "حدثنى ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن الضحاك" .

- تفسير الطبرى ج ٢٧ ، ص ٧٠ .

ولأنعامكم" (عبس : ٣١) ، فالفاكهة ما يأكله الناس ، والآب ماتأكله الأنعام عن ابن عباس قال:
الآب الكلاً والمرعى كله (١) .

"أما الريحان" (الرحمن ١٢) فى التفسير بالمأثور للقرآن الكريم فهو الرزق ذاته ، عن ابن عباس
قال كل ريحان فى القرآن فهو رزق ، وعن مجاهد والضحاك مثله ، وقال آخرون أنه الريحان الذى
يشم ، ورأى أبو جعفر أن الأولى بالصواب قول من عنى به الرزق ، إذ سمع عن العرب تقول خرجنا
نطلب ريحان الله ورزقه ويقال سبحانك وريحانك أى ورزقك . (٢)

وعلى الأرض خلق الله الإنسان ، ويسر له سبيل الرزق من طعام وشراب ، له ولأنعامه التى
خلقها الله ، وسخرها لنفعه أيضاً ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "والأنعام خلقها لكم فيها
دفعاً ومنافع ومنها تأكلون" (النحل : ٥) عن مجاهد - يعنى بالدفع الثياب وبالمنافع قال نتاجها
وركوبها وألبانها ولحومها ، وعن ابن عباس وقتادة مثله" (٣) .

ومن صور تذييل الرزق للإنسان أن خلق الله الماء وجعله سبباً للحياة والرزق فمنه يشرب
الناس وتشرب أنعامهم ، وفى التفسير بالمأثور لقوله تعالى : "هو الذى أنزل من السماء ماء لكم
منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون" (النحل : ١٠) ، قال أبو جعفر : "فمن ماء المطر تشربون ومنه
شراب أشجاركم وحياة غروبكم ونباتها وشراب أنعامكم، عن عكرمة: فيه تسيمون قال ترعون (٤) .

(١) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى محمد بن سعد قال ثنا أبى قال ثنا عمى قال ثنا أبى عن ابيه عن ابن عباس"

- تفسير الطبرى : ج ٣٠ ، ص ٣٨ .

(٢) عن ابن عباس (سنده) : "حدثنى زيد بن أوزم الطائى قال ثنا عامر بن مدرك قال ثنا عتبة بن يقظان عن عكرمة عن

ابن عباس" .

- تفسير الطبرى : ج ٢٧ ، ص ٧٢ .

(٣) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريح قال بلغنى عن مجاهد" .

- تفسير الطبرى : ج ١٤ ، ص ٥٥ .

(٤) عن عكرمة (سنده) : "حدثنى أحمد بن سهيل الواسطى قال ثنا قررة بن عيسى عن النضير بن عريى عن عكرمة" .

- تفسير الطبرى : ج ١٤ ، ص ٥٩ .

وبالماء تحيا النباتات والجنات " وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض وإننا على ذهاب به لقادرون ، فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون" (المؤمنون : ١٨ ، ١٩) ، قال أبو جعفر : "يقول تعالى ذكره فأحدثنا لكم بالماء الذى أنزلناه من السماء بساتين من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومن الفواكه تأكلون ، وخص جل ثناؤه الجنات التى ذكرها فى هذا الموضع فوصفها بأنها من نخيل وأعناب دون وصفها بسائر ثمار الأرض ، لأن هذين النوعين من الثمار كانا أعظم ثمار الحجاز وماقرب منها فكانت النخيل لأهل المدينة ، والأعناب لأهل الطائف، فذكر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم. (١)

وكما نزل الماء من السماء بالرزق للإنسان فقد أنعم الله على الإنسان بالرزق من مياه الأنهار والبحار ، ففى التفسير بالمأثور عن مجاهد فى قوله "وسخر لكم الأنهار" (ابراهيم : ٣٢) قال : بكل بلدة (٢) . وعن قتادة فى قوله تعالى "وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله" (التحل ١٤) قال يعنى حيتان البحر ، وقال أبو جعفر "البحر هو كل نهر ملحاً كان ماؤها أو عذباً لتأكلوا منه لحماً طرياً هو السمك .. وعن مجاهد "ولتبتغوا من فضله" قال تجارة البر والبحر. (٣) ويتضح هذا بقوله تعالى : "ولقد كرمتنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً" (الإسراء: ٧٠) ، فإله سبحانه وتعالى سخر للإنسان المخلوقات التى فى متناول يده لتكون مصادراً لرزقه ولحياته على الأرض .

(١) تفسير الطبرى : ج١٨ ، ص ١٠ .

(٢) عن مجاهد (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل جميعاً عن ابن أبى نجيع عن مجاهد" .

- تفسير الطبرى : ج١٣ ، ص ١٤٩ .

(٣) عن قتادة (سنده) : "حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة" .

عن مجاهد (سنده) : "حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيع عن مجاهد" .

- تفسير الطبرى : ج١٤ ، ص ٦١ ، ٦٢ .

والأرض مهدها الله وجعلها صالحة للزراعة ليعمل بها الإنسان، وينعم بما تخرجه من فواكه ونخيل وقمح وشعير ورزق كثير ، قال تعالى : "وأية لهم الأرض الميتة احييناها وأخرجنا منه حبا فممنه يأكلون ، وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ، ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون"(يس : ٣٣ : ٣٥) .

ومن هذا الرزق الكثير الذى يحصل عليه الإنسان بعمله فى الزراعة أو غيرها ، يأكل هو وأنعامه ، التى يربيهها لينتفع منها أيضاً منافع كثيرة ، فهو يطعم لحومها ، ويشرب ألبانها ، ويصنع من أجزائها المختلفة ماينفعه فى معاشه وأرديته واكسبته وأغظيته .

كذلك سخر الله للإنسان الماء من مصادره المختلفة ، فماء المطر أنزله الله من السماء إلى الأرض ؛ لتحيا بإذنه ، وتخرج من خيراتها الكثير ، قال تعالى : " وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم" (البقرة : ٢٢) .

وماء الأنهار والبحار التى يستخرج منها الإنسان الأسماك والأطعمة البحرية المتنوعة ، وينتقل على سطحها من مكان إلى مكان فى أرجاء المعمورة سعياً وراء الرزق والطيبات التى أتاحتها الله له ، قال تعالى : "هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور" (الملك : ١٥) ..

إن المجال فى تكريم الله للإنسان ليتسع بصورة لايمكن تحديدها ومواطن هذا التكريم من الكثرة بحيث لايمكن حصرها ، وماسبق ذكره فى هذا المجال من تمكين الانسان من الإقامة على الأرض، وتسخير المخلوقات البعيده عن متناول يده ومن خلقه فى أحسن صورته وإيجاد الرزق وتذليل مصادره ، كان ذلك كله فى ضوء أية واحدة من آيات القرآن الكريم التى زادت عن الستة آلاف أية ، هى الآية ٦٤ من سورة غافر : "الله الذى جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات" .

وقد اتضح مما سبق ماحواه القرآن الكريم من خلال التفسير بالمأثور من مبادئ أساسية عن الطبيعة الإنسانية ، منذ أن خلق الله الإنسان على الأرض التى هيئها لمقامه وتتابع أجياله، وهذا

ما يوضح مفهوم الخلافة فى التفسير بالمأثور القرآن الكريم، إذ اقتصر على معنى استخلاف اللاحقين للسابقين والخلف للسلف، ولم يقبل به أن تكون الخلافة بمعنى سكنى الأرض وتعميرها .

تناول التفسير بالمأثور للقرآن الكريم التعريف بمادة وكيفية خلق آدم وحواء وبينهما، وطريقة تناسل بنى آدم ، ومرحلة نمو الجنين منهم، ومرحلة نمو الإنسان المكتمل بعد ولادته، موضعاً الأطوار التى يمر بها فى كلا المرحلتين، والتى تعكس فى أروع صورة قدرة الله تعالى وإعجاز خلقه للإنسان، ثم تقديره تعالى لحياة الإنسان ورزقه إلى أن تحين وفاته وقد سجلت أعماله التى قام مختاراً بعد أن اتضحت أمامه معالم الطريق .

أما عن طبيعة النفس الإنسانية فقد وضح التفسير بالمأثور للقرآن الكريم أنها فى الإسلام كل متكامل، لافصل ولا تفضيل بين مكوناتها، وهى مكونات متكاملة تعين بعضها البعض فى أداء وظيفة الإنسان فى الحياة وتحقيق الهدف من وجوده بها .

فالجسد مكرم من الله فقد أودعه باقى مكونات الذات الإنسانية ، اهتم الإسلام بالجسد ودعا إلى الحرص على صونه وسلامة أعضائه ، وربط بين سلامته وسلامة باقى المكونات، وبلغ من تكريم الله له أن جعل أعضائه شهوداً على صاحبها يوم الحساب .

والعقل لم يذكر كجزء مادمى من مكونات الطبيعة الإنسانية وإنما ذكر كمفاعل يفجر الطاقات العقلية فى الإنسان من فكر وعلم وإدراك وتعقل حتى بلوغ الحقيقة ، فكانت مخاطبة العقل وسوق البراهين العقلية هى وسيلة الإسلام لتحقيق الاقتناع بالدين واليقين بالله ، وتغلغل الإيمان فى القلب وكان هذا موطناً من مواطن تميز الإنسان على سائر المخلوقات .

والقلب أية من آيات معجزة خلق الإنسان، فهو مركز الإيمان ومحل رسوخ اليقين، ويوضح التفسير بالمأثور للقرآن الكريم أن القلب قد ذكر فيه بعدة معان، فقد قصد به فى بعض الآيات معناه المادى كجزء من أجزاء الذات الإنسانية ومكون من مكونات طبيعتها، ويكون القلب مسوداً مغلقاً ومفتلاً لدى الكافر الذى لم يفقه ولم يعقل، فإذا آمن صقل قلبه وزال عنه كل ما كان يغطيه

من سواد، وذكر القلب فى مواطن أخرى بمعنى العقل وكمصدر للوظائف العقلية من تفكر وتعقل، وبعض آيات جمعت ذكر القلب بهذين المعنيين، وفى آيات قرآنية أخرى ذكر القلب بمعنى النفس والذات الإنسانية كلها .

وأما الروح المكون الرابع من مكونات الطبيعة الإنسانية فقد أثبت جمع وتحليل الأقوال المأثورة فى تفسير معظم الآيات التى تناولته بالذكر ، أن الاختلاف قد وقع بين المفسرين فى تعريف الروح ، ويعد هذا الاختلاف دليلاً مؤكداً على احتجاب هذا السر الذى اختصه الله لنفسه، كما فى قوله تعالى : "وسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً" (الإسراء : ٨٥) .

وكما كرم الله الإنسان فى خلقه بهذه المكونات التى نال كل منها حظاً كبيراً من الاهتمام والرعاية فى الإسلام، فإن الله قد كرم الإنسان فى حياته على الأرض بعد أن خلقه فى أحسن صورة وأعدلها، فقد مكّنه من الإقامة على الأرض، وسخر المخلوقات لنتفعه القريب منها والبعيد عن متناول يده، وأوجد له الرزق وذلك له مصادره المختلفة من الماء بكل موارده ، والنباتات بكل أنواعها، والأنعام بكل منافعها .

ويوضح التفسير بالمأثور لآيات القرآن الكريم أن هذا التكريم الالهى لم يكن قاصراً على جنس معين من بنى آدم ، أى لم يكن قاصراً على الرجال فقط، بل إن المؤمنات الصالحات كان لهن حظ كبير فى هذا ، فقد ساوى بينهم وبين الرجال فى الثواب والجزاء فى الآخرة، وفى الحق فى الميراث فى الدنيا، وكان تكريم الله للإنسان شاملاً نوعية : الذكر والأنثى، ولم يفضل أحدهما على الآخر ، كما فعلت بعض المجتمعات وبعض الفلسفات .

وهكذا تبين أن ما حواه القرآن الكريم من مبادئ أساسية عن الطبيعة الإنسانية يعد نبأً جارياً فياضاً يستمد منه الفكر التربوى أسسه ومنطلقاته وتساعد على التنظير للتربية وتحديد أهدافها ، فقد كان للفكر الإسلامى عطاؤه فى الفكر التربوى، وتأثيراته المختلفة والمتنوعة لأنه كان ربانى المصدر فلم يكن يعنى تحرر الروح من الجسد ولا تحليق الإنسان فى آفاق الروحية، لأن ذلك

على نقيض الفطرة التي فطر الله الناس عليها، كما لم يخلق منه إنساناً مادياً لا يحترم فيه إلا عقله، ولم ينصب اهتمامه على جانب دون آخر من جوانب الطبيعة الإنسانية ومكوناتها .

وإنما تميز الفكر الإسلامي بالوسطية والتوازن والشمول فحوى الروح والمادة كليهما، والإنسان والطبيعة، والطبيعة وخالق الطبيعة ، كما تميز بالنزعة الإنسانية التي تهدف إلى السمو بالإنسان وتحريره من كل ألوان العبودية إلا لله عز وجل، وأعطته كافة الإمكانات والصلاحيات للعمل الإنساني الفعال ، فاستطاع المسلم أن يفكر وابتكر وينفذ في رحاب المصادر الأساسية للدين التي كانت تساعده على استكمال حرية التفكير، والتخلص من جمود العقل والإكراه والعسف .

فجمع الفكر الإسلامي بفضل هذا التوازن والتكامل بين القوى الإنسانية المختلفة فأنتج فكراً ونظماً تربوياً ، أنتج بدوره انساناً ومجتمعاً ، أنتج في النهاية حضارة عظيمة قامت على أسس من العلم والتربية الإسلامية، وهذا ما توجه بالدراسة إلى البحث عن العلم والتربية في الإسلام من خلال التفسير بالمأثور للقرآن الكريم .